قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

شذرات
من حياة الإمام
الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين

عن الرضا عليه السلام: (الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة ...)[1].

كثيراً ما يقرع سمعنا هذا الحديث المبارك أو نراه معلقاً في أماكن مختلفة، ولكن هل فكرنا يوماً في ما يعنيه بشكل حقيقي.

ولا يخفى على الأخوة المؤمنين أن درك عميق المعاني التي أشار إليها المعصومون عليهم السلام في أحاديثهم لا يتيسر لأفهامنا القاصرة ولكن معرفة بعض الجوانب الظاهرة التي قصد الأئمة عليهم السلام بيانها لشيعتهم مما يخفى كثيراً على البعض من دون التأمل فيها.

وعلى كل حال فما نريد بيانه أن كون الحسين عليه السلام مصباح هدى وسفينة نجاة تشبيه مهم من الأئمة عليهم السلام له سلام الله عليه، يراد منه أن الهداية والنجاة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحسين عليه السلام.

(١) عيون أخبار الرضا ج١ ص٦٢

فالهداية: هي بيان الطريق الموصل إلى الله تعالى، والذي لا يعرفه إلا الله ومن أرسله سبحانه لغرض الهداية من الأنبياء والأوصياء.

والنجاة: هي انتشال الناس من الخطايا والمعاصي والذنوب وإيصالهم إلى بر الأمان والعفو والمغفرة.

ولكن هنا تساؤلين:

١- لماذا خُصَّ الحسين عليه السلام بهذا الوصف، مع أنها وظيفة الأنبياء والأوصياء جميعاً على مر الزمن ـ كما أسلفنا ـ حتى قال في حقه الإمام الحسن عليه السلام: (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله).

٢- ما هي وظيفتنا تجاه الحسين عليه السلام وكيف نستفيد من هذا العطاء الإلهي بما ينفع في الأمرين المتقدمين وهما الهداية والنجاة.

أما جواب السؤال الأول:

إن أنبياء الله تعالى على كثرتهم ـ وهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ـ وكذلك أوصياء هؤلاء الأنبياء كلهم أو جلهم قد مروا بحالة المواجهة مع أقوامهم، ثم بعد ذلك ماتوا أو قتلوا وكما في الحديث أنه: (إذا قبض الله نبياً من الأنبياء، بكت عليه

السماء والأرض أربعين سنة)، فيكون يوماً مشهوداً من أيام الله تعالى، ولكن من الملفت للنظر أن هذه الأيام التي تؤرخ لفقد ولي من أولياء الله تعالى على الأرض على كثرتها لم يتميز فيها يوم كما تميز يوم الحسين عليه السلام، فقول الإمام الحسن الزكي عليه السلام المتقدم: (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله) بعد كل هذا أمر عجيب ومحير، وحري بنا أن نتأمل عظمته ونراعي ذلك.

إن الإمام الحسين عليه السلام مُعَداً له في علم الله تعالى أن يقود مشروعاً لتصحيح مسار الرسالة المحمدية الخاتمة، التي هي دستور الله تعالى في الأرض للأجيال جميعاً وفي كل الأزمنة، بل إن رسالات الأنبياء السابقين كانت تمهيداً لهذه الرسالة السماوية، وتهيئة عقول الناس لتقبلها.

ثم لعِظَمِ هذه الرسالة وخاتميتها كان التحدي من قبل طغاة الأمة كبيراً ولذا كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت)، ومن الطبيعي أن محاولات شياطين الإنس لم تنته بنهاية حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بل استمرت وبشدة أكبر بعد حياته، ويكفي ما حدث من غصب الخلافة، ونحلة الزهراء عليها السلام، وضربها وإحراق بيتها وإبعاد أهل البيت

وتحجيم مكانتهم في المجتمع... الخ دليلاً على ذلك.

وشيئاً فشيئاً بدأ الطلقاء والمنافقون يتسنّمون منابر المسلمين ويصلون إلى سدة الحكم لا لشيء إلا لمحو هذا الدين وصرفه عن مساره من جهة، والتنعم بأموال المسلمين بإنفاقها على ملذاتهم من جهة أخرى.

أما الأئمة المعصومون الذين هم الحماة للدين، فقد كانوا مهمشين مبعدين... مقتلين، فكان الحسين عليه السلام وكانت عاشوراء بكل مآسيها مشروعاً للتضحية والفداء ومثالاً لتضحية الأئمة في الحفاظ على دين الله وشرعه.

وليس غريباً أن تكون أصداء عاشوراء بتلك الضخامة فهي الدفة التي غيرت مسيرة الدعوة الإسلامية وأنقذتها من التحريف والتزييف ونقّتها من الشوائب التي دأب الأعداء إلصاقها بها.

لذا فيوم الحسين يوم ليس كباقي الأيام الخالدة بل هو يوم أعاد الدين إلى الحياة بإعادة الحياة إلى الدين حتى قيل: الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء.

فمن هذا العرض يتضح ـ نوع اتضاح ـ أن الهداية التي قام

بها الحسين عليه السلام في ذلك الوقت المظلم كان لها من الأهمية والتميز ما استحقت هذه الأوصاف.

وأما السؤال الثاني: عن الوظيفة تجاه الحسين عليه السلام.

وجوابه: أننا لابد أن ننظر للحسين عليه السلام كمشروع إلهي لإحياء الدين وحفظه، وبهذه النظرة يكمن مفتاح الجواب وينفتح منه ألف باب، فلو أردنا أن نكون حسينيين وجب علينا أن نعيش قضية الحسين التي عاشها في وجدانه نعيشها في ضمائرنا.

وهذه القضية هي قضية هداية الأمة والحفاظ على دين جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يكون عن طريق:

- تخلّق الإنسان في نفسه بأخلاق الإسلام العظيمة وتطبيق أحكام الخالق جل وعلا، لنكون دعاة للدين بشكل عملي.
- نشر الثقافة الدينية الصحيحة في المجتمع عن طريق بيان العقائد الحقة والأحكام الفقهية.
- تبسيط ما يحتاج إلى تبسيط من هذه العقائد والأحكام.
- دفع الشبهات التي تواجه الفكر الإسلامي.
- حث المجتمع على الالتزام بهذه الأفكار والمفاهيم

والأحكام وأن تكون منهجاً لهم في الحياة.

- حث المجتمع على التخلق بأخلاق الإسلام والالتزام بتطبيق أحكامه، لا مجرد معرفتها والتفكر بها والحديث حولها، بل تكون دستوراً عملياً لهم في الحياة بعد معرفة أنه الطريق الوحيد الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة.

- تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يواجه هجمة شرسة لتهميشه بمسميات مختلفة، بعد أن شخّص أعداء الإسلام أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الكفيل بالحفاظ على نسيج المجتمع الإسلامي محتفظاً بثوابته.

- مواكبة العصر بإيجاد طرق بديلة لنشر الأفكار الصحيحة واستخدام العلوم الحديثة وما ينتج عنها من وسائل اتصال وإيصال للمعلومة في سبيل نشر فكر أهل البيت عليهم السلام إلى الناس.

العتبة العلوية المقدسة

قسم الشؤون الدينية

شعبة التبليغ

ولادة سبط النبي الإمام الحسين عليه السلام:

في الثالث من شهر شعبان في السنة الرابعة للهجرة شعت الأكوان بنور الحسين عليه السلام حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثالث الأئمة بعد أبيه وأخيه عليهما السلام، حيث وضعت فاطمة الزهراء عليها السلام وليدها، فامتلئت الأكوان نوراً من نوره المبارك وعمّت البركة أرجاء المعمورة، فقد أشرقت الأرض بنور ربها هذا النور المبارك الذي سيكون على يديه حفظ الدين، والتضحية في سبيله بكل وجوده الطاهر.

ثم أدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مراسيم الولادة من الأذان والإقامة في أذنيه اليمنى واليسرى، ليكون عصمة للولد من الشيطان، ثم سمّاه الحسين، قال المؤرخون: (لم تكن العرب في جاهليتها تعرف هذا الاسم حتّى تُسمِّي أبناءهم به، وإنّما سمّاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم به بوحي من السماء)[1]، وعقّ عنه بعد سبعة أيام بكبش، وحلق رأسه وتصدق بزنته فضة.

(١) أسد الغابة: ج٢، ص١١.

رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسين عليه السلام:

وتولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه رعاية الحسين، واهتم به اهتماما بالغا فمزج روحه بروحه، ومزج عواطفه بعواطفه، وكان ـ فيما يقول المؤرخون ـ : يضع إبهامه في فيه، وأنه أخذه بعد ولادته فجعل لسانه في فمه ليغذيه بريق النبوة وهو يقول له: إيها حسين، إيها حسين، أبى الله إلا ما يريد هو ـ يعني الإمامة ـ فيك وفي ولدك...[1]، لقد سكب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في نفس وليده مُثُلَه ومكرماته ليكون صورة عنه، وامتداداً لحياته، ومثلاً له في نشر أهدافه وحماية مبادئه.

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٠٩.

حُبّ النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام:

توالت أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله في وَصف مقام الإمام الحسين عليه السلام، وموقعه الرفيع من الرسالة ومنه، ومدى محبَّة النبي لسبطه الحسين عليه السلام، ومن هذه الأقوال ما يلي:

أولاً: عن يَعلى بن مُرَّة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (حُسَينٌ مِنِّي وأنا مِن حُسين، أحَبَّ اللهُ مَن أحبَّ حُسَيناً، حُسينٌ سِبْطٌ مِن الأسْباط)[1].

ثانياً: عن سلمان الفارسي، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (الحسن والحسين ابناي، من أحبَّهما أحبَّني، ومن أحبَّني أحبَّه اللهُ، وَمَن أحبَّه الله أدخله الجنة، ومن أبغضَهُمَا أبغضَني، ومن أبغضَني أبغضَه الله، وَمَن أبغضه الله أدخلَه النَّار)[2].

ثالثاً: عن البَرَّاء بن عازب، قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله حاملاً الحسين بن علي عليهما السلام على عاتقه وهو

(١) إرشاد الشيخ المفيد: ج٢، ص١٢٧.

(٢) مستدرك الحاكم النيسابوري: ج٣، ١٦٦.

يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُحبُّهُ فَأَحِبَّه)[1].

رابعاً: عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه، ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: (أمْسِكه)، ثم يقع صلى الله عليه وآله عليه، فيُقبِّله ويبكي، فيقول عليه السلام: (يَا أَبه، لِمَ تبكِي) ؟!! فيقول صلى الله عليه وآله: (يا بُنيَّ، أقبِّل موضع السيوف منك وأبكي)، فيقول عليه السلام: (يا أبه، وأُقتَل) ؟!!

فيقول صلى الله عليه وآله: (إي والله، وأبوك وأخوك وأنت)، فيقول عليه السلام: (يا أبه، فمصارعُنا شتَّى) ؟!! فيقول صلى الله عليه وآله: (نعم، يا بُنيَّ)، فيقول عليه السلام: (فمن يزورنا من أمتك)؟ فيقول صلى الله عليه وآله: (لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصدِّيقون من أمَّتي)[2].

خامساً: عن ابن عباس، قال: (لما اشتدَّ برسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الذي توفِّي فيه، ضمَّ الحسين عليه السلام، ويسيل من عرقه عليه، وهو يجود بنفسه ويقول: (مَا لِي وَلِيَزِيد، لا بَارَكَ اللهُ فِيه، اللَّهُمَّ العَنْ يزيد)، ثم غُشي عليه صلى الله عليه وآله طويلاً، ثم أفاقَ، وجعل يقبِّل الحسين عليه السلام

(١) الأمالي: ص٢٤٩.

(٢) كامل الزيارات: ص١٤٦.

وعيناه تذرفان ويقول: (أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عزَّ وجلَّ)[1].

وأخيراً:

ندرك كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يهيِّئ ولده الحسين عليه السلام لدور رسالي فريد، ويوحي به ويؤكِّده، ليحفظ له رسالته من الانحراف والضياع.

ولذا نجد أن سيرة الإمام الحسين عليه السلام هي من أبرز مصاديق وحدة الهدف في تحقيق وحفظ مصلحة الإسلام العُليا، والتي اتَّسمت بها أدوار أهل البيت عليهم السلام على رغم تنوِّعها في الطريقة وتباينها الظاهري في المواقف.

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٦٦.

صفاته عليه السلام الجسمية:

بَدَت في ملاح الإمام الحسين عليه السلام ملامح جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فكان عليه السلام يحاكيه في أوصافه صلى الله عليه وآله وسلم، كما كان يحاكيه في أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين عليهم السلام، وقد وصفه محمد بن الضحاك فقال: كان جسد الحسين عليه السلام يشبه جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وقيل: إنه كان يشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما بين سُرَّتِه إلى قدميه[2].

وقال الإمام علي عليه السلام: (مَن سَرَّهُ أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين عنقه وثغره فلينظر إلى الحسن، وَمَن سَرَّهُ أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين عنقه إلى كَعبِهِ خَلقاً وَلَوناً فلينظر إلى الحسين)[3].

فقد بدت على وجهه الشريف أسارير الإمامة، فكان عليه السلام من أشرق الناس وجهاً، فكان كما يقول الشاعر أبو كبير الهذلي:

وَإذا نَظرت إلى أَسِرَّة وجهه ... بَرقت كَبَرقِ العَارض المُتَهَلِّل

(١) المنمق في أخبار القريش: ص٥٣٥، خطط المقريزي: ج٢، ص٢٨٥.

(٢) المنمق: ص٤٢٤.

(٣) تاريخ دمشق: ج١٤، ص١٢٦.

جماله عليه السلام:

وصفه بعض المترجمين له بقول أحدهم: كان عليه السلام أبيض اللون، فإذا قعد في موضع فيه ظلمة يُهتَدى إليه لبياض جبينه ونحره[1].

ويقول آخر: كان له عليه السلام جَمالٌ عظيم، ونورٌ يتلألأ في جبينه وخَده، يضيء حَواليه في الليلة الظلماء، وكان عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

ووصفه بعض الشهداء من أصحابه في يوم الطف قائلاً:

لَهُ طَلعةٌ مِثل شَمس الضّحى

لَهُ غرَّة مِثل بَـــدرٍ مُنـــير

(١) الإفادة في تاريخ الأئمة السادة.

(٢) محاضرات الأوائل والأواخر لعلي درة الحنفي: ص٧١ وفي مصابيح السنة: ج٢، ص٢٠٢ عن أنس قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي، وقال في الحسين: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وفي أنساب الأشراف: ج١، ق١: ان الحسين كان يشبه النبي صلى الله عليه وآله.

هَيبته عليه السلام:

وكانت عليه سِيمَاء الأنبياء عليهم السلام، فكان عليه السلام في هَيبته يَحكي هيبة جَدِّه صلى الله عليه وآله وسلم التي تَعنُو لَها الجِبَاه، فقد وصف عظيم هيبته بعض الجَلاَّدين من شُرطة ابن زياد بقولهم: لَقَد شَغَلَنا نُورُ وجهِهِ وجَمالُ هَيبتِه عن الفكرة في قتله، ولم تحجب نور وجهه يوم الطف ضربات السيوف، ولا طَعنات الرماح، فكان كالبدر في بَهائه ونَضَارته، وفي ذلك يقول الشاعر الكعبي:

وَمُجَرَّحٌ ما غيَّرت منه القَنا حُسناً ولا أخلَقْنَ منه جَديدا

قَد كان بدراً فاغتَدَى شمسُ الضّحى مُذْ ألبَسَتْه يد الدماء بُرودا[1]

وَلما جِيءَ برأسه الشريف إلى الطاغية ابن زياد بُهِر بنور وجهه، فانطلق يقول: ما رأيتُ مثل هذا حُسناً[2]!!.

وحينما عُرِض الرأس الشريف على يزيد بن معاوية ذُهِل من جمال هيبته وطفق يقول: ما رأيتُ وجهاً قط

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج١، ق١، مخطوط بمكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة.

(٢) تاريخ دمشق: ج١٤، ص١٢٦.

أحسنُ مِنه[1]!!.

ولما تشرف عبد الله بن الحر الجعفي بمقابلته عليه السلام امتلأت نفسه إكباراً وإجلالاً له، وراح يقول: ما رأيتُ أحداً قَط أحسَنُ، ولا أملأُ للعين من الحُسَين عليه السلام[2].

فقد بدت على ملامحه عليه السلام سيماء الأنبياء عليهم السلام، وبهاء المُتَّقين، فكان عليه السلام يملأ عيون الناظرين إليه، وتنحني الجباه خضوعاً وإكباراً له عليه السلام.

(١) أنساب الأشراف للبلاذي: ج٣، ص٢١٧.

(٢) أعيان الشيعة: ج٤، ص١١٨.

إمامته عليه السلام:

صَرَّح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنص على إمامة الحسن والحسين عليهما السلام بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (اِبناي هَذَان إمَامان قامَا أو قَعدا).

ودلَّت وصيَّة الحسن عليه السلام إليه على إمامته، كما دلَّت وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام على إمامته.

فكانَت إمامة الإمام الحسين عليه السلام بعد وفاة أخيه ثابتة، وطاعته على جميع الخَلق لازِمَة، وإنْ لم يَدعُ عليه السلام إلى نفسه للتقيَّة التي كان عليها، والهُدْنة الحاصلة بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، فالتزم بالوفاء بها.

فلمَّا مات معاوية، وانقضَتْ مُدَّة الهُدْنة التي كانت تمنع الإمام الحسين عليه السلام من الدعوة إلى نفسه، وعَلم عليه السلام بما بعثه يزيد إلى واليه في المدينة الوليد بن عتبة، من أخذ البيعة من أهل المدينة له، وقد أرفَقَ كتابه بصحيفة صغيرة فيها: خُذ الحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، بالبيعة، أخذاً شديداً، ومن أبَى فاضرب عنقه، وأبعث إليَّ برأسه، فعندها أظهر عليه السلام أمره بحسب الإمكان، وأبَانَ عن حقِّه للجاهلين به حالاً بحالٍ،

إلى أن اجتمع له في الظاهر الأنصار، فدعا الإمام عليه السلام إلى الجهاد، وشمَّر للقتال، وتوجَّه بوُلدِه وأهل بيته من حَرم الله ورسوله نحو العراق، للاستنصار بِمَن دعاه من شيعته على الأعداء.

وقد أوصى الإمام الحسين عليه السلام قَبل خروجه من المدينة إلى مَكة، فَبيَّن مَغزَى قيامه، والدعوة إلى نفسه، فقال عليه السلام: (بِسْمِ الله الرَّحمَنِ الرَّحيم، هَذا مَا أوصَى به الحُسين بن علي عليهما السلام إلى أخِيه مُحَمَّد بن الحَنَفيَّة، أنَّ الحسين يشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله، وَحدَهُ لا شريك له، وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، جَاء بالحقِّ من عنده، وأنَّ الجنَّة حَقٌّ، والنَّار حَقٌّ، والسَّاعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعثُ من في القبور، وإنِّي لم أخرج أشِراً ولا بَطِراً، ولا مُفسِداً ولا ظَالِماً، وإنَّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمَّة جَدِّي صلى الله عليه وآله وسلم، أريدُ أنْ آمُرَ بالمعروفِ وأنْهَى عنِ المنكر، وأسيرُ بِسيرَةِ جَدِّي، وأبي علي بن أبي طَالِب، فَمَنْ قَبلني بقبول الحق فالله أولى بالحقِّ، ومن ردَّ عليَّ هذا أصْبِرُ حتى يقضيَ اللهُ بيني وبين القوم، وهو خَيرُ الحاكِمين)[1].

وكانتْ مُدَّة خلافته بعد أخيه عليهما السلام إحْدَى عشرة سنة.

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

علمه عليه السلام:

كان الإمام عليه السلام أعلم أهل زمانه بعد أبيه وجده فقد تربى في بيت العلم الذي نزل به جبرائيل عليه السلام على روح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتداوله إمام بعد إمام إلى أن وصل إليه عليه السلام، وهنا نعرض لبعض الفقرات التي تبين سعة علمه ووراثته له من أبيه وجده صلى الله عليه وآله وسلم.

أولاً: كلامه عليه السلام في توحيد الله عز وجل:

للإمام عليه السلام تراث علمي رائع، خاض في جملة منه مجموعة من البحوث الفلسفية والمسائل الكلامية التي مُنيت بالغموض والتعقيد، فأوضحها عليه السلام، وبيَّن وِجهة الإسلام فيها، منها:

في معنى (التَّوحِيد):

وعَرَّض الإمام الحسين عليه السلام في كثير من كلامه إلى توحيد الله، فَبيَّنَ حقيقته وجوهره، وفَنَّد شُبَه المُلحدين وأوهامهم، ونعرض فيما يلي لبعض ما أُثِر عنه:

أولاً: قال عليه السلام:

(أيُّها النَّاس، اتقوا هؤلاء المارقة الذين يُشبِّهون الله بأنفسهم، يضاهون قول الذين كفروا من أهل الكتاب،

بل هو الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، استخلص الوحدانية والجَبَروت، وأمضى المشيئة، والإرادة، والقدرة، والعلم بما هو كائن، لا منازع له في شيء من أمره، ولا كُفو له يعادِلُه، ولا ضِدّ له ينازعه، ولا سَمِيّ له يشابهه، ولا مثل له يشاركه، لا تتداوله الأمور، ولا تجري عليه الأحوال، ولا ينزل عليه الأحداث، ولا يقدر الواصفون كُنهَ عظمته، ولا يخطر على القلوب مَبلغ جبروته، لأنه ليس له في الأشياء عديل، ولا تدركه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق، إيقانا بالغيب لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين، فذلك الله لا سَمِيّ له، سبحانه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير)[1].

فقد حذّر الإمام عليه السلام من تشبيه الخالق العظيم بعباده، أو بسائر الممكنات التي يلاحقها العدم، ويطاردها الفناء.

(١) تحف العقول: ص٢٤٤.

ثانياً:

يقول المؤرخون إن حَبْر الأمة عبد الله بن عباس كان يُحدِّث الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقام إليه نافع الأزرق فقال له: تُفتي الناس في النملة والقَملة، صف لي إلهَك الذي تعبُد ؟

فأطرقَ إعظاما لقوله، وكان الإمام الحسين عليه السلام جالساً فانبرى قائلاً: (إليَّ يا بن الأزرق)؟

فقال نافع: لَستُ إيَّاك أسأل.

فثار ابن عباس، وقال له: إنه من بيت النبوة، وهم وَرَثة العلم.

فأقبل نافع نحو الإمام عليه السلام، فقال عليه السلام: (يا نافع، من وضع دينه على القياس لم يزل الدهرَ في التباس سائلاً ناكباً عن المنهاج، ظاعناً بالاعْوِجَاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل.

أَصِفُ لك إلهي بما وصفَ به نفسه، وأعَرِّفُه بما عَرَّف به نفسه، لا يُدركُ بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريبٌ غير مُلتَصِق، بعيد غير منتقص يوحد ولا

يبغض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المُتعَال)[1].

فحارَ الأزرق، ولم يُطِق جواباً، فقد مَلَكَته الحيرة، وسدَّ عليه الإمام عليه السلام كل نافذة ينفذ منها، وبُهِر جميع من سمعوا مقالة الإمام عليه السلام، وراحوا يُرَدِّدُون كلام ابن عباس: إنَّ الحُسين عليه السلام مِن بيت النبوَّة، وَهُم وَرَثَة العلم[2].

في معنى (الصَّمَد):

كتب إليه عليه السلام جماعة يسألونه عن معنى الصمد في قوله تعالى: ﴿اللهُ الْصَّمَدُ﴾.

فكتب عليه السلام لهم بعد البسملة: (أما بعد: فلا تخوضوا في القرآن، ولا تُجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بِغَير عِلم، فقد سمعت جَدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (مَن قال في القرآن بغير عِلمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدُهُ من النار)، وإن الله سبحانه قد فَسَّر الصمد فقال: (اللهُ أَحَدُ * اللهُ الْصَّمَدُ)، ثم فَسَّرهُ فقال: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ).

(١) روضة الواعظين: ص٣٤.

(٢) دعائم الإسلام: ج١، ص٣٩٥.

(لَمْ يَلِدْ): لم يخرج منه شيء كثيف، كالولد وسائر الأشياء الكثيفة، التي تخرج من المخلوقين.

ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعب منه البدوات كالسِّنَة والنوم والخطرة، والهم والحزن، والبهجة والضحك، والبكاء والخوف، والرجاء والرغبة والسأمة، والجوع والشبع، تعالى عن أن يخرج منه شيء، وأن يتولَّدَ منه شيء كثيف أو لطيف.

(وَلَمْ يُولَدْ): لم يتولد من شيء، ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار، ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها، كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، وكالنار من الحجر، لا، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبناء بعلمه، فذلكم اللهُ الصَّمد،

الـذي لم يلد ولم يولـد، عالم الغيب والشـهادة، الكبـير المُتعال، وَلم يَكُـن لَهُ كُفـوا أحد)[1].

ثانياً: مسائل الإمام الحسين عليه السلام:

طرحـت عـدّة مسـائل عـلى الإمـام الحسـين عليه السلام، نذ كر منهـا :

المسألة الأولى:

دخـل عـلى الإمـام الحسـين عليه السلام رجـل مـن العـرب، فقـال: يـا بـن رسـول الله مسـألة، قـال عليه السلام: (هـات).

قال: كم بين الإيمان واليقين؟ قال عليه السلام: (أربع أصابع).

قـال: كيـف؟ قـال عليه السلام: (الإيـمان مـا سـمعناه واليقـين مـا رأينـاه، وبـين السـمع والبـصر أربـع أصابـع).

قـال: فكـم بـين السـماء والأرض؟ قـال عليه السلام: (دعـوة مسـتجابة).

قـال: فكـم بين المشرق والمغرب؟ قال عليه السلام: (مسـيرة يوم للشمس).

قـال: فـما عـز المـرء ؟ قـال عليه السلام: (اسـتغناؤه عـن النـاس).

(١) الوافي للفيض الكاشاني: ج١، ص٣٦٧..

قال: فما أقبح شيء ؟ قال عليه السلام: (الفسق في الشيخ قبيح، والحدة في السلطان قبيحة، والكذب في ذي الحسب قبيح، والبخل في ذي الغناء قبيح، والحرص في العالم قبيح).

قال: صدقت يا بن رسول الله، فأخبرني عن عدد الأئمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال عليه السلام: (إثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل).

قال: فسمهم لي ؟ فأطرق الحسين عليه السلام ملياً، ثمّ رفع رأسه، فقال عليه السلام: (نعم أخبرك يا أخا العرب، إنّ الإمام والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن وأنا وتسعة من ولدي، منهم علي أبني، وبعده محمّد ابنه، وبعده جعفر ابنه، وبعده موسى ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده محمّد ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده الحسن ابنه، وبعده الخلف المهدي، هو التاسع من ولدي يقوم بالدين في آخر الزمان)[1].

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص١٧٩.

المسألة الثانية:

كتب رجل من أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام: يا سيّدي أخبرني بخير الدنيا والآخرة؟ فكتب عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّ من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضى الناس بسخط الله وكلّه الله إلى الناس، والسلام)[1].

المسألة الثالثة:

قال رجل للإمام عليه السلام: أنا رجل عاص ولا أصبر عن المعصية، فعظني بموعظة، فقال له: (افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت).

قال له الرجل هاتها يا أبا عبد الله ؟ قال عليه السلام:

(الأولى: لا تأكل من رزق الله وأذنب ما شئت)، فقال الرجل: ومن أين آكل إذن، وكل ما في الكون لله ومن عطائه؟

(الثانية: أخرج من أرض الله وأذنب ما شئت)، فقال الرجل: وهذه أعظم من الأولى، فأين أسكن وكل ما في

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٢٠٩.

الكـون لله وحـده؟

(الثالثـة: أطلـب موضعـاً لا يـراك اللهُ فيـه وأذنـب مـا شـئت)، فقـال الرجـل: وهـل تخفـى عـلى الله خافيـة؟

(الرابعـة: إذا جـاءك ملـك المـوت ليقبـض روحـك فادفعـه عـن نفسـك وأذنـب مـا شـئت).

(الخامسـة: إذا أراد مالـك أن يدخلـك النـار فـلا تدخلهـا وأذنـب مـا شـئت)، فقـال لـه الرجـل: حسـبي يـا ابـن رسـول الله، لـن يـراني الله بعـد اليـوم حيـث يكـره[1].

(١) بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٢٦.

عبادته عليه السلام:

اتجه الإمام الحسين عليه السلام بعواطفه ومشاعره نحو الله عز وجل، فقد تفاعلت جميع ذاتيّاته عليه السلام مع حب الله والخوف منه، ويقول المؤرخون: إنه عليه السلام عمل كل ما يقرّبه إلى الله تعالى، فكان عليه السلام كثير الصلاة، والصوم، والحج، والصدقة، وأفعال الخير، ونحن نعرض في هذا المختصر بعض ما أُثِر عنه عليه السلام من عبادته، وقربه من الله تبارك وتعالى.

أولاً: خوفه عليه السلام من الله تعالى:

كان الإمام عليه السلام في طليعة العارفين بالله، وكان عظيم الخوف منه، شديد الحذر من مخالفته، حتى قال له بعض أصحابه: ما أعظم خوفك من ربك ؟!!

فقال عليه السلام: (لا يَأمنُ يوم القيامة إلا مَن خافَ الله في الدنيا)[1].

وكانت هذه سيرة المتقين الذين أضاءوا الطريق، وفتحوا آفاق المعرفة.

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٢.

ثانياً: كثرة صلاته وصومه عليه السلام:

كان عليه السلام أكثر أوقاته مشغولاً بالصلاة والصوم، فكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة كما حَدّث بذلك ولده زين العابدين عليه السلام فقد قيل له عليه السلام: (ما أقل ولد أبيك؟! قال: العجب كيف ولدت له! كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء؟!)[1].

وتحدث ابن الزبير عن عبادة الإمام عليه السلام فقال: أمَا والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامُه، كثيراً في النهار صومُه[2].

ثالثاً: حجّه عليه السلام:

كان الإمام عليه السلام كثير الحج، وقد حج عليه السلام خمساً وعشرين حجة ماشياً على قدميه، وكانت نجائبُه تُقاد بين يديه، وكان يمسك الركن الأسود ويناجي الله ويدعو قائلاً: (إلَهي أنعمْتَ عليَّ فَلَم تجِدْني شاكراً، وابْتَليتَني فلم تَجِدني صابراً، فلا أنتَ سَلبْتَ النِّعمَة

(١) وسائل الشيعة: ج٤، ص١٠٠.

(٢) أنساب الأشراف: ج٥، ص٣٠٤.

بـتركِ الشـكر، ولا أدمْـتَ الشِّـدَّة بـترك الصَّـبر، إلَهـي مـا يَكـونُ مـن الكريـمِ إلا الكـرم)[1].

وخـرج عليه السلام معتمـراً لبيـت الله فمـرض في الطريـق، فبلـغ ذلـك أبـاه أمـير المؤمنـين عليه السلام وكان في المدينـة المنورة، فخـرج عليه السلام في طلبـه، فأدركـه في (السـقيَا) وهـو عليه السلام مريض، فقال له: (يَا بُني ما تشتكي)؟

فقال الإمام الحسين عليه السلام: (أشتكِي رَأسي).

فدعـا أمـير المؤمنـين بِبدنَـةٍ فنحرهـا، وحلـق عليه السلام رأسـه وَردّه إلى المدينـة، فلـما شُـفي عليه السلام مـن مرضـه قَفـل راجعـاً إلى مكـة واعتَمَـر[2].

هذا بعض ما أُثِر من طاعته وعبادته عليه السلام.

(١) كشف الغمة: ج٢، ص٤١٤.

(٢) دعائم الإسلام: ج١، ص٣٩٥.

دعاؤه ومناجاته:

لقد كان أهل البيت عليهم السلام لا يأنسون ولا يلتذون بشيء مثل مناجاة ربهم ودعائه وقد ملئت صحف التاريخ بصحائف من نور تحكي تلك العلقة الربانية بينهم وبين خالقهم الذي عرفوه فأحبوه فثارت بهم العواطف فتركوا النوم وانشغلوا بعبادة ربهم وتلذذوا بمناجاته ودعائه فقد كان أبوه أمير المؤمنين عليه السلام من أشهر العابدين حتى كانت الغشية التي تأخذه في الليل من أبرز سماته التي حكاها أصحابه، وكذلك ابنه زين العابدين عليه السلام فقد طرز كتب الأدعية بمناجاته وادعيته التي عرفت بعد ذلك بزبور آل محمد، ووقف الحسين بين الأب والابن نفس الموقف ولم يكن غريبا عن نسق هذا البيت الطاهر فاشتهر عنه دعاؤه في عرفة الذي حيّر الألباب فصاحة وعلماً فقد انكب العلماء والعباد عليه على حد سواء يقرأونه ليزدادوا منه علماً أو قرباً إلى الله تعالى.

وحفلت الأدعية التي أُثِرت عن الإمام الحسين عليه السلام

بالدروس التربوية الهادفة إلى بناء صُرُوح العقيدة، والإيمان بالله، وتنمية الخوف والرهبة من الله في أعماق نفوس الناس، لِتصدُّهُم عن الاعتداء، وتمنعهم عن الظلم والطغيان.

وقد كان اهتمام أهل البيت عليهم السلام بهذه الجهة اهتماماً بالغاً، ولم يُؤثَر عن أحد من خِيَارِ المسلمين من الأدعية مثل ما أُثِر عنهم عليهم السلام.

وإنَّها لَتُعَد من أروع الثروات الفكرية والأدبية في الإسلام، فقد حَوَت أصول الأخلاق، وقواعد السلوك والآداب، كما ألَمَّتَ بفلسفة التوحيد ومعالم السياسة العادلة وغير ذلك.

ونشير هنا إلى قسم من أدعيته عليه السلام:

أولها: دعاؤه عليه السلام من وقاية الأعداء:

كان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء مستجيراً بالله من شرور أعدائه، وهذا نَصُّه: (اللَّهُم يَا عدَّتي عِند شِدَّتي، وَيا غَوثي عِند كُربَتي، اِحرسْني بِعَينِكِ التي لا تَنَام، واكنفْني بِرُكنِكَ الذي لا يُرَام، وارحَمْني بقدرَتِك عَليَّ،

فَلا أَهْلَكُ وأنتَ رَجَائي، اللَّهُمَّ إنك أكبرُ وأجلُّ وأقدَرُ مِمَّا أخافُ وأحذَرُ، اللَّهُمَّ بك أَدرَأُ في نحره، وأستَعيذُ مِن شَره، إنكَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٍ)[1].

ودعا بهذا الدعاء الشريف الإمام الصادق عليه السلام حينما أمر الطاغية المنصور بإحضاره مخفوراً لِيَنكل به، فأنقذَهُ الله من شَرِّه وفرَّجَ عنه، فَسُئل عن سبب ذلك فقال عليه السلام إنه دَعا بدعاء جَدِّه الحُسين عليه السلام[2].

ثانيها: دعاؤه للاستسقاء:

كان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء إذا خرج للاستسقاء: (اللَّهُمَّ اسقِنَا سُقيَا واسعة، وَادِعة عَامَّة، نَافِعة غَير ضَارَّة، تَعمُّ بِها حَاضِرنا وَبَادِينا، وتزيدُ بِها فِي رِزقِنَا وَشُكرِنا، اللَّهُمَّ اجعَلهُ رِزقَ إيمَان، وَعَطَاءَ إيمَان، إنَّ عطاءك لَم يَكُن مَحظوراً، اللَّهُمَّ أَنزِلْ عَلينا فِي أرضِنَا سَكَنَهَا، وَأنبِتْ فِيها زَيتَهَا وَمَرْعَاهَا)[3].

(١) كشف الغمة: ج٢، ص٣٨٢.

(٢) إعلام الورى: ج١، ص٥٢٥.

(٣) عيون الأخبار: ج٢، ص٣٠٣.

ثالثها: دعاؤه عليه السلام يوم عرفة:

وهو مِن أجَلِّ أدعية أهل البيت عليهم السلام، وأكثرها استيعاباً لألطاف الله ونِعَمه على عباده.

وقد روى هذا الدعاء الشريف بشر وبشير الأسديَّان حيث قالا: كنا مع الحسين بن علي عليهما السلام عشية عرفة، فخرج عليه السلام من فسطاطه مُتذلِّلاً خاشعاً، فجعل يمشي هَوناً هَوناً، حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل، مستقبل البيت، ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين، وقال عليه السلام: (الحَمدُ لله الذي ليس لِقضَائه دافع، ولا لِعَطائِه مَانِع، وَلا كَصُنعِه صَانِع، وَهو الجَوادُ الوَاسِع .....).

وأخذ عليه السلام يدعو الله وقد جَرَت دموع عينيه على سَحنات وَجهِه الشريف وهو يقول: (اللَّهُمَّ اجعَلني أخشَاكَ كأنِّي أرَاك، وأسعِدْني بِتَقواك، وَلا تُشْقِنِي بِمعصيتك، وخر لي في قضائك).

ثم رفع عليه السلام بصره إلى السماء وقال برفيع صوته: (يَا أسمَع السَّامِعين، يا أبصَر النَّاظِرين، ويَا أسرَع الحَاسِبين،

ويَا أرحَم الرَّاحِمين، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ محمد، السَّادة المَيامِين، وأسألُكَ اللَّهُمَّ حَاجَتي التي إن أعْطَيتَنِيهَا لَم يَضرُّني مَا مَنَعتَني، وَإن مَنَعتَنِيهَا لَم يَنفَعني مَا أعْطَيْتَني، أسألُكَ فَكَاكَ رَقَبَتي مِن النَّار، لا إلَه إلا أنتَ وَحدَكَ لا شَريكَ لَكَ، لَكَ المُلكُ وَلَكَ الحَمدُ، وَأنتَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَدير، يَا رَبِّ يَا رَبِّ).

وأثَّرَ هذا الدعاء تأثيراً عظيماً في نُفوس من كان مع الإمام عليه السلام، فاتَّجهوا بقلوبهم وعواطفهم نَحوهُ يستمعون دعاءه عليه السلام وقد عَلَت أصواتُهم بالبكاء معه، وذُهِلوا عن الدعاء لأنفسهم في ذلك المكان الذي يُستَحَبُّ فِيه الدُعَاء.

يقول الرواة: إنَّ الإمام عليه السلام استمَرَّ يَدعو حَتى غَربت الشمسُ، فَأفاضَ عليه السلام إلى (المُزْدَلِفَة)، وَفاضَ النَاسُ مَعه[1].

(١) حياة الإمام الحسين لباقر شريف القرشي: ج١، ص١٦٧.

جوده عليه السلام وسخاؤه:

من مزايا الإمام الحسين عليه السلام الجود والسخاء، فقد كان الملاذ للفقراء والمحرومين، والملجأ لمن جارت عليه الأيام، وكان يُثلِج قلوب الوافدين إليه بِهِبَاتِه وعَطَايَاه، يقول كمال الدين بن طلحة: وقد اشتهر النقل عنه أنه عليه السلام كان يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم، ويشد من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويغني ذا الحاجة، وقَلَّ أن وَصَلَه مَال إلا فَرَّقَه، وهذه سَجيَّة الجواد، وشِنشِنَه الكريم، وسِمَة ذي السماحة، وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق، فأفعاله المَتلُوَّة شاهدة له بِصفة الكرم، ناطقةً بأنه متصف بمَحاسِن الشيَم[1]..

ويقول المؤرخون: كان عليه السلام يحمل في دُجَى الليل السهم الجراب، يملؤه طعاماً ونقوداً إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين، حتى أَثَّر ذلك في ظَهرِه، وكان

(١) مطالب السؤول: ص٣٨٦.

يُحمَل إليه المتاع الكثير فلا يقوم حتى يَهبَ عَامَّتَه[1].

وقد عرف معاوية فيه هذه الظاهرة فأرسل إليه عليه السلام بهدايا وألطاف كما أرسل إلى غيره من شخصيات المدينة، وأخذ يحدث جلساءه بما يفعله كل واحد منهم بتلك الألطاف فقال في الحسين عليه السلام: أما الحسين، فيبدأ بأيتام من قُتِل مع أبيه بِصِفِّين، فإن بقي شيء نَحرَ به الجزُور، وسقى به اللبن[2].

وعلى أي حال فقد نقل المؤرخون بوادر كثيرة من جود الإمام عليه السلام وسخائه، نذكر بعضها:

أولها: مع أسامة بن زيد:

مرض أسامة بن زيد مرضه الذي توفي فيه، فدخل عليه الإمام عليه السلام عائداً، فلما استقر به المجلس قال أسامة: واغَمَّاه.

فقال الإمام عليه السلام: (مَا غَمّك) ؟

فقال أسامة: دَيْني، وهو ستّون ألفاً.

فقال الإمام عليه السلام: (هُوَ عَلَيَّ).

(١) ريحانة الرسول: ص٧١.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٣، ص٤٧.

فقال أسامة: أخشى أن أموت قبل أن يُقضى.

فأجابه الإمام عليه السلام: (لَن تَموتَ حَتى أَقضِيهَا عَنك).

فبادر الإمام عليه السلام فقضاها عنه قبل موته، وقد غضَّ طرفه عن أسامة فقد كان من المُتخلِّفين عن بيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يجازيه عليه السلام بالمِثل، وإنما أغدق عليه بالإحسان[1].

ثانيها: مع جارية له عليه السلام:

روى أنس قال: كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية بيدها طاقة رَيحانة فَحَيَّتهُ بها، فقال عليه السلام لها: (أنتِ حُرَّة لِوجه الله تعالى).

فَبُهِر أنس وانصرف وهو يقول: جَارِيةٌ تحيِّيُكَ بِطَاقَة رَيحانٍ فَتَعتِقها ؟!!

فأجابه الإمام عليه السلام: (كَذا أدَّبَنا اللهُ، قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ وكان أحسَنَ منها عِتقُهَا)[2].

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص٥٧٩.

(٢) كشف الغمة: ج٢، ص٢٤٠.

ثالثها: مع غارم:

كان الإمام الحسين عليه السلام جالساً في مسجد جَده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بعد وفاة أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية منه، كما كان عتبة بن أبي سفيان جالساً في ناحية أخرى منه.

فجاء أعرابي غارم على نَاقة فَعَقَلها ودخل المسجد، فوقف على عتبة بن أبي سفيان، فَسلَّمَ عليه، فَردَّ عليه السلام، فقال له الأعرابي: إني قَتلتُ ابن عَمٍّ لي، وطُولِبتُ بالديَّة، فهل لَكَ أن تعطيَني شيئاً ؟.

فرفع عُتبة إليه رأسه وقال لغلامه: ادفع إليه مِائة درهم.

فقال له الأعرابي: ما أريدُ إلا الديَّة تامة.

فلم يَعنَ به عتبة، فانصرف الأعرابي آيساً منه.

فالتقى بابن الزبير فَعرض عليه قصته، فأمر له بِمائتي درهم، فَردَّها عليه.

وأقبل نحو الإمام الحسين عليه السلام، فرفع إليه حاجته.

فأمر عليه السلام له بعشرة آلاف درهم، وقال له: (هَذهِ لِقضاء ديونَك).

وأمر عليه السلام له بعشرة آلاف درهم أخرى وقال له: (هَذه تَلُم بها شَعثَك، وَتُحسِّن بها حَالك، وتنفقُ بها على عِيَالِك).

فاستولت على الأعرابي موجاتٌ من السرور واندفع يقول:

طَربتُ وما هَاج لي معبقُ ... وَلا لِي مقَامٌ ولا معشَقُ
وَلكِنْ طَربتُ لآلِ الرَّسولِ ... فَلَذَّ لِيَ الشِّعرُ وَالمَنطِقُ
هُمُ الأكرَمون الأنجَبُون ... نُجومُ السَّماءِ بِهِم تُشرِقُ
سَبقتَ الأنامَ إلى المَكرُمَاتِ ... وَأنتَ الجَوادُ فَلا تُلحَقُ
أبوكَ الَّذي سَادَ بِالمَكرُمَاتِ ... فَقصَّرَ عَن سِبقِه السُّبَّقُ
بِه فَتحَ اللهُ بَابَ الرَّشاد ... وَبابُ الفَسادِ بِكُم مُغلَقُ[1]

رابعها: مع أعرابي:

قصد الإمامَ عليه السلام أعرابيٌّ فَسلَّم عليه، وسأله حاجته وقال: سمعتُ جدَّك صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إذا سَألتُم حَاجَة فَاسْألوُها مِن أربعة: إمَّا عَربيّ شريف، أَو مَولىً كَريم، أوْ حَامِلُ القُرآن، أو صَاحِبُ وَجه صَبيحٍ).

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص٥٨٠.

فَأما العَربُ فَشُرِّفَت بِجَدك صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الكرمُ فَدَأبُكم وَسيرتكم، وأما القرآن فَفِي بيوتِكُم نَزَل، وأما الوجه الصبيح فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إذا أردتُم أنْ تَنظُروا إلَيَّ فَانظُروا إلى الحَسَنِ وَالحُسَين).

فقال له الحسين عليه السلام: (ما حاجتك) ؟

فَكتبها الأعرابي على الأرض، فقال له الحسين عليه السلام: (سَمِعتُ أبي عَلياً عليه السلام يَقول: (المَعرُوفُ بِقَدر المعرفة، فأسألُكَ عَن ثلاث مَسائلٍ، إن أجبتَ عن واحدةٍ فَلَكَ ثُلث ما عِندي، وإن أجبتَ عَن اثنين فَلَك ثُلثَا مَا عِندي، وإن أجبتَ عَن الثَّلاث فَلَكَ كُل مَا عِندي، وَقَد حُمِلَت إلَيَّ صرَّة من العِراق).

فقال الأعرابي: سَلْ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فقال الإمام عليه السلام: (أيّ الأعمالِ أفضلُ) ؟

فقال الأعرابي: الإيمان بالله.

فقال الإمام عليه السلام: (ما نَجَاةُ العَبدِ مِن الهَلَكة) ؟

فقال الأعرابي: الثقة بالله.

فقال الإمام عليه السلام: (مَا يزينُ المَرء) ؟

فقال الأعرابي: عِلمٌ معهُ حِلمٌ.

فقال الإمام عليه السلام: (فإن أَخطأه ذَلك) ؟

فقال الأعرابي: مَالٌ معهُ كَرمٌ.

فقال الإمام عليه السلام: (فإن أَخطأه ذلك).

فقال الأعرابي: فَقرٌ معهُ صَبرٌ.

فقال الإمام عليه السلام: (فإن أَخطأه ذلك).

فقال الأعرابي: صَاعقةٌ تنزل من السماء فَتُحرقه.

فضحك الإمام عليه السلام ورمى إليه بِالصرَّة[1].

وبهذا السخاء والخلق الرفيع مَلَك عليه السلام قلوب المسلمين، وهَاموا بِحُبِّه وَوِلائِه عليه السلام.

(١) تفسير الرازي: ج٢، ص١٨٩.

حلمه عليه السلام:

فقد كان الحلم من أسمى صفات الإمام الحسين عليه السلام ومن أبرز خصائصه، فقد كان ـ فيما أجمع عليه الرواة ـ لا يقابل مسيئاً بإساءته، ولا مذنباً بذنبه، وإنما كان عليه السلام يغدق عليهم بِبرِّه ومعروفه، شأنه في ذلك شأن جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي وَسع الناسَ جميعاً بأخلاقه وفضائله، وقد عُرف عليه السلام بهذه الظاهرة وشاعت عنه.

يقول المؤرخون: إن بعض مواليه قد جنى جناية توجب التأديب، فأمر عليه السلام بتأديبه، فانبرى العبدُ قائلاً: يا مولاي، إن الله تعالى يقول: (الكَاظِمِينَ الغَيْظَ)، فقابله الإمام عليه السلام بِبَسماته الفيَّاضة وقال له: (خلّوا عَنه، فَقَد كَظمتُ غَيظِي).

وسارعَ العبدُ قائلاً: (وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)، فقال له الإمام عليه السلام: (قَد عَفوتُ عَنك)، وانبرى العبدُ يطلب المزيد من الإحسان قائلاً: (وَاللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ)[1].

(١) آل عمران: ١٣٤.

فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: (أنتَ حُرّ لِوَجهِ الله)، ثم أمر عليه السلام له بجائزة سَنيّة تُغنيهِ عن الحاجة ومَسألة الناس[1].

فقد كان هذا الخلق العظيم من مقوِّماته التي لم تنفكّ عنه عليه السلام، وظلَّت ملازمةً له طوال حياته.

(١) الفصول المهمة: ج٢، ص٧٦٩.

تواضعه عليه السلام:

جُبِلَ الإمام الحسين عليه السلام على التواضع، ومجافاة الأنانية والكبرياء، وقد وَرِثَ هذه الظاهرة من جَدِّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي أقام أصول الفضائل، ومعالي الأخلاق في الأرض، وقد نقل الرواة بَوادر كثيرة من سُموِّ أخلاقه عليه السلام وتواضعه.

فَمِنهَا: أنه عليه السلام اجتاز على مساكين يأكلون في (الصفة)، فدعوه إلى الغداء فنزل عن راحلته، وتغذى معهم، ثم قال عليه السلام لهم: (قَد أجبتُكُم فَأَجِيبُونِي)، فَلبّوا نداءه وخفوا معه إلى منزله، فقال عليه السلام لزوجه الرباب: (أَخرِجِي ما كُنتِ تَدَّخِرين)، فأخرَجتْ الرباب ما عندها من نقودٍ فناولها عليه السلام لهم[1].

ومنها: أنه عليه السلام مَرَّ على فقراء يأكلون كسراً من أموال الصدقة، فَسلَّم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فجلس معهم، وقال عليه السلام: (لَولا أنهُ صَدَقة لأكلتُ مَعكُم)، ثم دعاهم عليه السلام إلى منزله، فأطعمهم وكَسَاهم وأمرَ لَهم بِدَراهم[2].

(١) تاريخ بن عساكر: ج١٣، ص٥٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٢.

شجاعته عليه السلام:

لم يشهد الناس في جميع مراحل التاريخ أشجع، ولا أربَط جأشاً، ولا أقوى جناناً من الإمام الحسين عليه السلام بعد أخيه الحسن عليه السلام.

فقد وقف عليه السلام يوم الطف موقفاً حيَّر به الألباب، وأذهل فيه العقول، وأخذت الأجيال تتحدثُ بإعجاب وإكبارٍ عَن بَسَالَتِه، وصَلابة عَزمه عليه السلام، وقد بُهِر أعداؤه الجبناء بِقوَّة بَأسه، فإنَّه عليه السلام لم يضعف أمام تلك النكبات المذهلة التي أخذت تتوالى عليه، وكان يزداد طلاقةً وبشراً كلما ازداد الموقف بلاءً ومحنة، فإنَّه عليه السلام بعد ما فقد أصحابه وأهل بيته عليهم السلام زحف عليه الجيش بأسره، وكان عدده ـ فيما يقول الرواة ـ ثلاثين ألفاً، فحمل عليهم وَحدهُ وقد مَلَك الخَوفُ والرُعب قلوبهم، فكانوا ينهزمون أمامَه كالمعزى إذا شَدَّ عليها الذئب ـ على حَدِّ تعبير الرواة ـ وبقي عليه السلام صامداً كالجبل، يتلقى الطعنَات من كل جانب، ولم يُوهَ له ركن، وإنما مضى في أمره استِبْسَالاً واستخفافاً بالمنية.

قال شاعر أهل البيت عليهم السلام السيد حيدر الحلي يصف شجاعته:

فَتلقَّى الجُموعَ فرداً وَلكـــــنْ
كُل عُضوٌ في الرَّوعِ منه جُمــوعُ
رُمحُه مِن بنَانِه، وَكأنَّ مـــــــن
عَزمِهِ حَدُّ سَيفِه مَطبـــــــوعُ
زَوَّجَ السَّيفَ بالنفوسِ وَلكــنْ
مَهرُها المَوتُ وَالخِضَابُ النَّجِيعُ[1]

ولما سقط عليه السلام على الأرض جريحاً وقد أعياه نزف الدماء تحامى الجيش بأسره من الإجهاز عليه رعباً وخوفاً منه عليه السلام، وقد صوَّر السيد حيدر ذلك المشهد بقوله:

عَفيراً مَتى عَايَنَتْهُ الكُمَاة يَختَطِفُ الرُّعبُ أَلوَانَها
فَما أجلَت الحَربُ عَن مِثلِهِ صَريعاً يُجَبِّنُ شُجعَانَها[2]

وتغذى أهل بيته وأصحابه عليهم السلام بهذه الروح العظيمة،

(١) الدر النضيد: ص٢١٢ و ٢١٣.
(٢) أعيان الشيعة: ج١، ص٥٨١.

فتسابقوا إلى الموت بشوقٍ وإخلاص، لم يختلجْ في قلوبِهم رُعب ولا خوف، وقد شَهدَ لهم عَدوُّهُم بالبَسالة ورباطة الجأش، فقد قيل لرجل شَهدَ يوم الطفِّ مع عمر بن سعد: وَيحك، أقَتَلتُم ذُرِّيَّة رَسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟!! فاندفع قائلاً: عَضَضْت بالجندل، إنك لو شهدتَ ما شهدنا لَفعلتَ ما فعلنا، ثارت علينا عِصابةٌ، أيديها في مَقابِض سيوفِها كالأُسُود الضارِية، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتُلقي أنفسَها على الموت، لا تقبلُ الأمانَ، ولا تَرغبُ في المال، ولا يحولُ حائِلٌ بينها وبين الوُرودِ على حِياضِ المَنِيَّة، والاستيلاءِ على المُلك، فَلَو كَفَفْنَا عنها رُوَيداً لأتَتْ على نفوس العسكر بِحذافيرِه، فَما كُنَّا فاعِلين ؟!! لا أُمَّ لَك[1]!!. وهذا كما ترى منطق الجبناء والآيسين من رحمة الله ومن أعمى الله أبصارهم بسبب حبهم للدنيا لعنة الله عليهم.

ووصف الشاعر عبيد الله بن عمرو الكندي البدي هذه البسالة النادرة بقوله:

(١) شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٢٦٣.

فَلو وَقَفَتْ صُمُّ الجبال مَكانَهـم
لَمَادَتْ عَلى سَهلٍ وَدَكَّت على وَعرِ
فَمِن قائمٍ يَستعرضُ النَّبلَ وجهُهُ
وَمِن مُقدِمٍ يَرمي الأَسِنَّةَ بِالصَّدرِ[1]

وما أروع قول السيد حيدر الحلي في ذلك:

دَكُّوا رُبَاها ثُم قالوا لَها
ـ وَقد جَثَوا ـ : نَحنُ مَكانَ الرُّبَا[2]

فقد تحدَّى أبو الأحرار عليه السلام ببسالته النادرة الطبيعةَ البشرية، فَسخَر من الموت، وهَزأ مِن الحياة، وقد قال عليه السلام لأصحابه حينما رأى سهام الأعداء تُمطِر عليهم: (قُومُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إلى المَوتِ الذي لا بُدَّ منه، فإنَّ هذه السِّهام رُسُل القَومِ إليكُم).

فنرى أنه عليه السلام قد دعا أصحابه إلى الموت كأنما هو يدعوهم إلى مأدبة لذيذة، وقد كانت لذيذة عنده حقاً، لأنه عليه السلام ينازل الباطل، ويرتسم له بُرهَان رَبِّه الذي هو مَبدؤهُ عليه السلام.

(١) أعيان الشيعة: ج٧، ص٧٢.
(٢) ديوان السيد حيدر الحلي: ج١، ص٢٨.

فصاحته عليه السلام وبلاغته:

تربى الإمام الحسين عليه السلام بين أحضان جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي كان أفصح مَنْ نطق بالضاد، ثم انتقل إلى حضن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، الذي كان كلامه بعد كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، ناهيك عن كلام أُمّه الزهراء عليها السلام، التي تفرغ عن لسان أبيها، فلا غرو أن نجد الحسين عليه السلام أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء.

وقد تجلى ذلك في واقعة عاشوراء، عندما اشتد الخطب وعظم البلاء وضاق الأمر، فلم يتزعزع ولم يضطرب، وخطب بجموع أهل الكوفة، بقلب ثابت ولسان طليق ينحدر منه الكلام كالسيل، فلم يسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، حتى قال فيه عدوّه: ويلكم كلّموه فإنه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر[1].

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦.

إباؤه عليه السلام عن الضيم:

ومن أهم صفاته والصفة البارزة من نزعات الإمام الحسين عليه السلام هي الإباء عن الضيم، حتى لُقّب عليه السلام بـ (أَبيّ الضيم)، وهي من أعظم ألقابه عليه السلام ذيوعاً وانتشاراً بين الناس، فقد كان المَثَل الأعلى لهذه الظاهرة، فهو الذي رفع شِعار الكرامة الإنسانية، ورسم طريق الشرَف والعِزّة، فلم يخنع، ولم يخضع لقرود بني أمية، فآثر عليه السلام الموت تحت ظِلال الأَسِنّة، وفي ذلك يقول الشاعر عبد العزيز بن نباتة السعدي:

وَالحُسَين الذي رَأى المَوتَ فِي العِزّ
حَياةً وَالعَيشَ في الذّلِّ قَتلاً[1]

فقد عَلَّم أبو الأحرار عليه السلام الناسَ نُبل الإباء ونبل التضحية، يقول فيه مصعب ابن الزبير: واختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة[2].

وقد كانت كلماته عليه السلام يوم الطف من أروع ما أُثِرَ

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤.
(٢) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٧٣.

من الكلام العربي، في تصوير العِزة، والمنعة، والاعتداد بالنفس، فكان يقول عليه السلام: (أَلا وَإِنَّ الدَّعي ابنَ الدَّعي قَد رَكَزَ بَينَ اثنَتَينِ، بَين السِّلَّةِ والذِّلَّة، وهَيهَات مِنَّا الذِّلَّة، يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحُجُور طَابَتْ وَطَهُرتْ، وأُنُوفٌ حَمِيّة، ونُفوسٌ أَبِيَّة، مِن أنْ نُؤثِر طَاعةَ اللِّئامِ عَلى مَصَارِعِ الكِرَام)[1].

وقف عليه السلام يوم الطف كالجبل الصامد، غير حافل بتلك الوحوش الكاسرة من جيوش الردّة الأموية، وقد ألقى عليهم وعلى الأجيال أروع الدروس عن الكرامة وعِزَّة النفس وشَرَف الإباء قائلاً عليه السلام: (وَالله لا أُعطِيكُم بِيَدي إعطاء الذَّليل، وَلا أفرّ فِرارَ العَبيد...)[2].

وألقت هذه الكلمات المشرقة الأضواء على ما يحمله الإمام العظيم من الكرامة التي لا حَدَّ لأبعادها، والتي هي من أروع ما حفل به تاريخ الإسلام من صُوَر البطولات الخالدة في جميع الأحقاب، وقد تسابق شعراء أهل البيت عليهم السلام إلى تصوير هذه الظاهرة الكريمة،

(١) الاحتجاج: ج٢، ص٢٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤.

فكان ما نَظَموه في ذلك من أَثمَن ما دَوَّنَته مصادر الأدب العربي، وقد عنى شاعر أهل البيت عليهم السلام السيد حيدر الحلي إلى تصوير ذلك في كثير من روائعه الخالدة، التي رثى بها جَدَّه الإمام الحسين عليه السلام، فيقول في بعضها:

طَمعت أن تسومه القوم ضَيماً ... وَأبى اللهُ وَالحُسَام الصَّنِيعُ
كيف يَلوي عَلى الدَّنيَّة جِيداً ... لِسِوَى الله مَا لَوَاه الخُضوعُ
وَلَديه جأش أرد من الدِّرع ... لِظَمأى القَنا وَهُنَّ شُروعُ
وَبِه يرجع الحفاظ لِصَدرٍ ... ضَاقت الأرضُ وَهي فِيهِ تَضِيعُ
فَأبى أن يَعيشَ إلا عَزيزاً ... أَو تَجَلَّى الكِفَاح وَهو صَريعُ[1]

ولم تُصَوَّر منعة النفس وإباؤها بمثل هذا التصوير الرائع، فقد عرض السيد حيدر إلى ما صَمَّمَت عليه الدولة الأموية من إرغام الإمام الحسين عليه السلام على الذل والهَوان، وإخضاعه لِجَورِهم واستِبدَادهم، ولكن يأبى الله له عليه السلام ذلك، وتأبى له نفسه العظيمة التي ورثت عِز النبوة أن يُقر على الضيم، فإنه عليه السلام لم يَلوِ

(١) ديوان سيد حيدر: ص٨٧.

جِيدَهُ خاضعاً لأي أحد إلا لله عزَّ وجلَّ، فكيف يخضع لأقزام بني أمية، وكيف يَلوِيه سُلطانهم عن عَزمِه الجَبّار الذي هو أَرَدّ من الدرع للقنا الظامئة.

ويقول السيد حيدر في رائعة أخرى يصف بها إباء الإمام عليه السلام وسُموّ ذاته، ولعلها من أجمل ما رَثَى به الإمام عليه السلام حيث يقول:

وسامَتهُ يَركَبُ إِحدَى اثْنَتَينِ ... وَقد صَرَّتِ الحَربُ أسنانَها

فإما يُرَى مُذعِناً أو تموت ... نَفسٌ أَبَى العِزّ إِذعَانَها

فَقال لَها: اعتصِمي بِالإِبَاء ... فَنَفْسُ الأَبِيّ وما زَانَها

إِذا لم تَجِد غَير لبسِ الهَوَانِ ... فَبِالمَوتِ تَنزَعُ جُثمَانَها

رَأى القَتلَ صَبراً شِعارَ الكِرَام ... وَفخراً يَزينُ لَها شَانَها

فَشَمَّرَ لِلحَربِ فِي مَعرَكٍ ... بِه عركَ المَوتُ فُرسَانَها[1]

فهذا هو إباء الإمام الحسين عليه السلام، وهذه هي عزَّة نفسه.

(١) ديوان السيد حيدر الحلي.

حِكَم الإمام الحسين عليه السلام ومواعظه:

مَنح اللهُ الإمامَ الحسين عليه السلام أعِنَّة الحِكمة، وَفَصل الخِطاب، فكانت تَتَدفَّق من لسانه عليه السلام ينابيع الحكمة والموعظة والأدب، وفيما يلي بعض حِكَمِهِ القصار:

١- (العاقلُ لا يُحدِّث مَن يُخافُ تَكذيبُه، ولا يَسألُ مَن يُخافُ مَنعُه، ولا يَثِقُ بِمن يُخافُ غَدرُه، وَلا يَرجو مَن لا يُوثَقُ بِرجَائِه)[١].

٢- (إيَّاك وما تَعتَذِرُ مِنه، فإنَّ المُؤمنَ لا يُسيءُ ولا يَعتَذِر، وَالمُنافق كُل يوم يُسيءُ وَيعتذر)[٢].

٣- (مِن دَلائِل عَلامات القَبول: الجُلوس إلى أهلِ العقول، ومِن علامات أسبابِ الجَهل المُمَارَاة لِغَير أهلِ الكفر، وَمِن دَلائل العَالِم انتقَادُه لِحَديثِه، وَعِلمه بِحقَائق فُنون النظَر)[٣].

٤- (مَن سَرّه أن يُنسأ في أجله، ويُزاد في رزقه فليَصِل رَحمه)[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ج١، ص١٣٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٦، ص١٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٥، ص١١٩.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٤٨.

٥- (إنّ حوائج الناس إليكم مِن نعم الله عليكم، فلا تملّوا النعم فتتحول إلى غيركم)[١].

دعوة الإمام الحسين عليه السلام إلى مكارم الأخلاق:

رسم الإمام الحسين عليه السلام لأهل بيته وأصحابه مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، وأمرهم بالتَحلّي بها ليكونوا قُدوة لغيرهم، وفيما يلي بعضا من أحاديثه وكلماته ووصاياه عليه السلام في هذا المجال:

١- (الحِلمُ زِينةٌ، والوَفاءُ مُروءَةٌ، والصِّلَةُ نِعمةٌ، والاستِكثارُ صَلَفٌ، والعَجلةُ سَفَهٌ، والسَّفهُ ضَعفٌ، والغُلوُّ وَرطةٌ، وَمُجَالسةُ أهلِ الدَّناءة شَرٌّ، ومُجَالسةُ أهلِ الفُسوقِ رِيبةٌ)[٢].

٢- (الصِّدقُ عِزٌّ، والكذبُ عَجزٌ، والسِّرّ أمَانَةٌ، والجوَار قَرَابةٌ، والمَعونةُ صَدَقةٌ، والعَملُ تَجربةٌ، والخُلُقُ الحَسنُ عِبادةٌ، والصَّمتُ زَينٌ، والشُّحُّ فَقرٌ، والسَّخَاءُ غِنىً، والرِّفقُ لُبٌّ)[٣].

(١) بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٢٧.
(٢) كشف الغمّة: ج٢، ص٣٠، الفصول المهمّة: ص١٦٩، معالي السمطين: ج١، ص٢٥١.
(٣) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٤٦.

٣- (لا تَتكلَّف مَا لا تُطيق، ولا تَتعرَّض لِما لا تُدرِك، ولا تَعِدُ بِما لا تقدِرُ عليه، ولا تُنفِقُ إلا بقَدَر ما تستفيد، ولا تَطلبُ مِن الجزاء إلا بِقَدر مَا صَنَعت، ولا تَفرَح إلاَّ بِما نِلتَ من طاعة الله، ولا تَتَناوَلْ إلا ما رأيتَ نَفسَكَ أهلاً لَه)[1].

٤- قال عليه السلام لابن عباس: (لا تَتكَلَّمَنَّ فيما لا يَعنيك، فَإنِّي أخافُ عليك الوِزر، ولا تَتكَلَّمَنَّ فيما يعنيك حتى ترى للكلام موضعاً، فَرُبَّ متكلمٍ قد تكلم بالحقِّ فَعِيب، ولا تُمارِيَنَّ حَليماً ولا سَفِيهاً، فإنَّ الحَليم يقليك، والسَّفيه يؤذيك، ولا تقولَنَّ في أخيك المؤمن إذا تَوارى عنك إلا مَا تُحبُّ أن يَقولَ فيك إذا تَواريتَ عنه، واعمل عملَ رَجلٍ يَعلَم أنه مأخوذٌ بالإجرام مَجزيٌّ بالإحسَان)[2].

٥- كان عليه السلام ينشد دوماً هذه الأبيات الداعية إلى حُسن الخُلق، وعَدم العَناء في طَلب الدنيا، ويَزعمُ بعض الرُّوَاة أنها من نَظمِه عليه السلام وهي:

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص٦٢١، أسرار الحكماء: ص٩٠.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٢٧.

لَئِنْ كَانَت الأَفعالُ يوماً لأهلِهـــا كَمالاً فَحُسنُ الخُلقِ أبْهَى وَأكمَـلُ
وَإنْ كَانَت الأرزَاقُ رِزقاً مُقَـــدَّراً فَقِلَّةُ جُهدِ المَرءِ فِي الكَسبِ أجْمَـلُ
وَإنْ كَـانَت الدُّنيا تُعَـدُّ نَفِيسَـــــةٌ فَـدَارُ ثَـوَابِ الله أعلَـى وَأنبَـــلُ
وَإنْ كَانَت الأبْدَانُ لِلمَوتِ أُنشِأَتْ فَقتلُ امْرِئٍ بِالسَّيفِ فِي الله أفضَـلُ
وَإنْ كَانَت الأمْوَالُ لِلترْكِ جَمْعُهَـــا فَمَا بَالُ مَتْروكٍ بِهِ المَرءُ يَبخَـــــلُ[1]

(١) مختصر صفة الصفوة: ص٦٢، الأنوار البهية: ص٤٦.

كرامات الإمام الحسين عليه السلام:

مما اختص الله به أولياءه أن أجرى على أيديهم كرامات تبيّن فضلهم وقربهم منه تعالى، ففي الحديث القدسي: (عبدي أطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون)[1]، وهم سلام الله عليهم أولى الناس بانطباق هذا الحديث عليهم، فلا عجب ـ بعد ذلك ـ إذا ظهرت على أيديهم الكرامات.

وللإمام الحسين عليه السلام كراماتٌ كثيرةٌ، سجَّلَتْها كتبُ التاريخ، نذكر منها:

- عن أبي خالد الكابلي عن يحيى ابن أم الطويل: قال كنا عند الإمام الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شاب يبكي، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: (مَا يُبْكِيكَ)؟.

قال: إنّ والدتي توفيت في هذه الساعة ولم توص، ولها مال، وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها شيئاً حتّى أعلمك خبرها.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: (قُومُوا بِنَا حَتَّى نَصِيرُ إلى

(١) التفسير الكاشف: ج٦، ص٥٢٠.

هَـذِهِ الحُـرَّة).

فقمنـا معـه حتّـى انتهينـا إلى بـاب البيـت الـذي فيـه المـرأة، وهـي مسـجّاة فـأشرف عـلى البيـت ودعـا الله ليُحيِيهـا حتّـى تـوصي بـما تحـب مـن وصيَّتهـا.

فأحياهـا الله، وإذا المـرأة جلسـت وهـي تتشـهّد، ثـمّ نظـرت إلى الإمـام الحسـين عليه السلام فقالـت: ادخـل البيـت يـا مـولاي ومُـرني بأمـرِك.

فدخـل عليه السلام وجلـس عـلى مخـدّة، ثـمّ قـال لهـا: (وَصِّي يَرْحَمـك اللهُ).

فقالـت: يـا ابـن رسـول الله، إنّ لي مـن المـال كـذا وكذا في مـكان كـذا وكـذا، وقـد جعلـت ثلثـه إليـك لتضعـه حيـث شـئت مـن أوليائـك، والثلثـان لابنـي هـذا إن علمـت أنّـه مـن مواليـك وأوليائـك، وإن كان مخالفـاً فخـذه إليـك فـلا حـقَّ للمخالفـين في أمـوال المؤمنـين.

ثـمّ سـألته أن يصـلّي عليهـا وأن يتـولَّى أمرهـا، ثـمّ صارت المـرأة ميتـة كما كانـت[1].

(١) الثاقب في المناقب: ص٣٤٤.

- روي عن هارون بن خارجة عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: (إنّ الحسين عليه السلام إذا أراد أن ينفذ غلمانه في بعض أموره قال لهم: لا تخرجوا يوم كذا، واخرجوا يوم كذا، فإنّكم إن خالفتموني قطع عليكم، فخالفوه مرة وخرجوا، فقتلهم اللصوص وأخذوا ما معهم، واتصل الخبر بالحسين عليه السلام فقال: لَقَد حَذَّرتُهُم فَلَم يَقبَلُوا مِنِّي.

ثمّ قام عليه السلام من ساعته ودخل على الوالي، فقال الوالي: يا أبا عبد الله بلغني قتل غلمانك فآجرك الله فيهم.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: فإنِّي أدُلُّكَ عَلَى مَن قَتَلَهم فاشدُدْ يَدَكَ بِهِم.

قال: أوَ تعرفهم يا ابن رسول الله ؟ فقال عليه السلام: نَعَم، كَمَا أعرِفُكَ، وَهَذا مِنهُم.

وأشار عليه السلام بيده إلى رجل واقف بين يدي الوالي، فقال الرجل: ومن أين قصدّتني بهذا ؟ ومن أين تعرف أنّي منهم.

فقال له الإمام الحسين عليه السلام: إنْ أنَا صَدَّقتُكَ

تُصدِّقُني ؟ فقال الرجل: نعم والله لأصدقنَّك، فقال عليه السلام: خَرجْتَ وَمَعَكَ فلان وفلان وذكرهم كلّهم، فمنهم أربعة من موالي المدينة، والباقون من حبشان المدينة.

فقال الوالي للرجل ورب القبر والمنبر، لتصدّقني أو لأهرأن لحمك بالسياط، فقال الرجل والله ما كذب الحسين وقد صدق وكأنّه كان معنا، فجمعهم الوالي جميعاً فأقرّوا جميعاً، فضرب أعناقهم[1].

- إنّ رجلاً صار إلى الإمام الحسين عليه السلام فقال: جئتُك أستشيرك في تزويجي فلانة، فقال عليه السلام: (لا أحبُّ ذلكَ لَك)، وكانت كثيرة المال، وكان الرجل أيضاً مكثراً، فخالف الإمام الحسين عليه السلام، فتزوج بها فلم يلبث الرجل حتّى افتقر، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: (قَدْ أشرْتُ إليكَ فَخَلِّ سَبيلَها، فإنَّ اللهَ يعوِّضُكَ خيراً مِنهَا).

ثمّ قال عليه السلام: (وَعَليكَ بفلانة)، فتزوّجها فما مضت سنة حتّى كثر ماله، وولدت له ولداً ذكراً، ورأى منها

(١) دلائل الإمامة: ص١٨٥، الخرائج والجرائح: ج١، ص٢٤٦.

ما أحب[1].

- لمّا ولد الإمام الحسين عليه السلام أمر الله تعالى جبرائيل أن يهبط في ملإٍ من الملائكة فيهنئ محمّداً فهبط، فمر بجزيرة فيها ملك يقال له فطرس بعثه الله في شيء فأبطأ فكسر جناحه، وألقاه في تلك الجزيرة، فعبد الله سبعمائة عام، فقال فطرس لجبرائيل: إلى أين ؟ قال: إلى محمّد، قال: احملني معك إلى محمّد لعلّه يدعو لي، فلمّا دخل جبرائيل وأخبر محمّداً بحال فطرس، قال له النبي: (قل له يمسح بهذا المولود جناحه)، فمسح فطرس بمهد الحسين عليه السلام، فأعاد الله عليه في الحال جناحه، ثمّ ارتفع مع جبرائيل إلى السماء، فسمّي عتيق الحسين عليه السلام[2].

- إنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا أراد العراق، قالت له أم سلمة: لا تخرج إلى العراق، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يقتل ابني الحسين بأرض العراق)، وعندي تربة دفعها إليّ في قارورة، فقال عليه السلام: (والله إنّي مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضاً، وإن

(١) الخرائج والجرائح: ج١، ص٢٤٨.

(٢) الخرائج والجرائح: ج١، ص٢٥٣.

أحببت أن أريك مضجعي ومصرع أصحابي).

ثمّ مسح بيده على وجهها، ففسح الله في بصرها حتّى أراها ذلك كلّه، وأخذ تربة فأعطاها من تلك التربة أيضاً في قارورة أخرى، وقال عليه السلام: (فإذا فاضتا دماً فاعلمي أنّي قد قتلت)، فقالت أم سلمة: فلمّا كان يوم عاشوراء نظرت إلى القارورتين بعد الظهر فإذا هما قد فاضتا دماً، فصاحت، ولم يقلب في ذلك اليوم حجر ولا مدر إلاّ وجد تحته دم عبيط[1].

- روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: (لمّا كانت الليلة التي قتل فيها الحسين عليه السلام في صبيحتها، قام في أصحابه فقال عليه السلام: (إنّ هؤلاء يريدونني دونكم، ولو قتلوني لم يقبلوا إليكم، فالنجاء النجاء، وأنتم في حل فإنّكم إن أصبحتم معي قتلتم كلّكم)، فقالوا: لا نخذلك ولا نختار العيش بعدك، فقال عليه السلام: (إنّكم تقتلون كلّكم حتّى لا يفلت منكم واحد)، فكان كما قال عليه السلام)[2].

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٣٢.

(٢) الخرائج والجرائح: ج١، ص٢٥٤.

كراماته عليه السلام بعد مقتله:

وردت كثير من الروايات في مصادر أهل السنة تتحدث عن بعض الظواهر الكونية، والحوادث، والفتن، التي ظهرت عقيب مقتل الإمام الحسين عليه السلام، أسفاً وحزناً عليه، ونذكر منها:

أولاً: ما روي من أن السماءَ صارت تَمطُر دماً:

عن أم حكيم قالت: قُتِلَ الحسين وأنا يومئذ جويرية، فمكثت السماء أياماً مثل العلقة[1].

ثانياً: ما روي من كسوف الشمس:

عن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن علي انكسَفَت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار، حتى ظننَّا أنها هي[2]، أي: القيامة.

ونقل ذلك أيضا السيوطي في تاريخ الخلفاء، وأرسله إرسال المسلّمات، فقال: ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة،

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص١١٣.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص١١٤.

والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكسفت شمس ذلك اليوم، واحمرَّت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله[1].

ثالثاً: ما ورد في الدم الذي ظهر على الجُدُر:

قال حصين: فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة، كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع[2].

رابعاً: ما رُفع حجر إلا وُجِد تحته دم:

عن الزهري قال: قال لي عبد الملك أي واحد أنت إن أعلمتني أي علامة كانت يوم قتل الحسين.

فقلت: لم ترفع حصاة ببيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط.

فقال لي: إني وإياك في هذا الحديث لقرينان[3].

وعن الزهري قال: ما رفع بالشام حجر يوم قتل

(١) تاريخ الخلفاء: ص٢٢٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٩٦.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص١١٩.

الحسين بن علي إلا عن دم[1].

خامساً: ذبحوا جزوراً فصار كله دماً:

عن دويد الجعفي عن أبيه قال: لما قتل الحسين انتهبت جزور من عسكره، فلما طبخت إذا هي دم[2].

سادساً: الفتن والحوادث الغريبة:

قال ابن كثير: وأما ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح، فإنه قلَّ من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض، وأكثرهم أصابه الجنون[3].

وقال أيضا: روى حَمَّاد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمارة، عن أم سلمة، أنها سمعت الجِنَّ تنوح على الحسين بن علي، وهذا صحيح[4].

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص١١٣، مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩، ص١٩٦. وروى ذلك الذهبي في (سير أعلام النبلاء)، والبيهقي في (دلائل النبوة) وأبو نعيم الأصفهاني في (معرفة الصحابة).

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص١٢١.

(٣) البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٠.

(٤) المصدر نفسه: ج٦، ص٢٥٩.

أسباب ثورته عليه السلام:

أحاطت بالإمام الحسين عليه السلام عِدَّة من المسؤوليات الدينية والواجبات الاجتماعية وغيرها من الأسباب المُحَفِّزَة لثورته، فدفعته عليه السلام إلى التضحية والفداء، وهذه بعض تلك المسؤوليات والواجبات والأسباب:

الأولى: المسؤولية الدينية:

لقد كان الواجب الديني يحتم عليه عليه السلام القيام بوجه الحكم الأموي الذي استحلَّ حُرُمَات الله، ونكث عهوده وخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية: المسؤولية الاجتماعية:

كان الإمام عليه السلام بحكم مركزه الاجتماعي مسؤولاً أمام الأمة عما مُنِيَت به من الظلم والاضطهاد من قبل الأمويين، ومن هو أولى منه بحمايتها وَرَدِ الاعتداء عنها؟! فنهض عليه السلام بأعباء هذه المسؤولية الكبرى، وأدى رسالته بأمانة وإخلاص، وَضَحَّى عليه السلام بنفسه وأهل بيته وأصحابه ليعيد عدالة الإسلام وحكم القرآن.

الثالثة: قيام الحجة عليه عليه السلام:

وقامت الحجة على الإمام عليه السلام لإعلان الجهاد، ومحاربة قُوَى البغي والإلحاد، فقد تواترت عليه الرسائل والوفود من أهل الكوفة، وكانت تُحَمِّلُه المسؤولية أمام الله إن لم يستجب لدعواتهم المُلِحَّة لإنقاذهم من ظلم الأمويين وَبَغيِهِم.

الرابعة: حماية الإسلام:

ومن الأسباب التي ثار من أجلها عليه السلام هي حماية الإسلام من خطر الحكم الأموي الذي جَهد على مَحْوِهِ، وقلع جذوره، فقد تربى يزيد على الكفر والإلحاد وقد ظهر جلياً في كلامه حين قال: (لَعِبتْ هاشمُ بِالْمُلك فَلا خَبَرٌ جاءَ وَلا وَحْيٌ نَزَلْ)، وكشف هذا الشعر عن العقيدة الجاهلية التي كان يدين بها يزيد فهو لم يؤمن بوحي ولا كتاب، ولا جَنَّة ولا نار.

الخامسة: صيانة الخلافة:

ومن جملة الأسباب التي ثار من أجلها عليه السلام تطهير الخلافة الإسلامية من أرجاس الأمويين الذين نَزَوا

عليها بغير حق، فلم تعد الخلافة في عهدهم - كما يريدها الإسلام - وسيلة لتحقيق العدل الاجتماعي بين الناس، والقضاء على جميع أسباب التخلف والفساد في الأرض، وقد رأى الإمام عليه السلام أن مركز جَدِّهِ قد صار إلى سِكِّيرٍ مُستَهتِرٍ لا يَعي إلا شهواته ورغباته، فثار عليه السلام ليعيد للخلافة الإسلامية كيانها المُشرِق إبان حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

السادسة: تحرير إرادة الأمة:

لم تملك الأمة في عهد معاوية ويزيد إرادتها واختيارها، فقد كُبِّلَتْ بقيُودٍ ثقيلة سَدَّت في وجهِهَا منافذ النور والوَعي، وَحِيلَ بينها وبين إرادتها، وقد هَبَّ الإمام عليه السلام إلى ساحات الجهاد والفداء، لِيُغذي المسلمين بروح العِزَّة والكرامة، فكان مقتله عليه السلام نُقطَةَ تَحَوُّلٍ في تاريخ المسلمين وحياتهم.

السابعة: تحرير اقتصاد الأمة:

ومن الأسباب انهيار اقتصاد الأمة الذي هو شرايين حياتها الاجتماعية والفردية، فقد عمد الأمويون إلى

نهب الخزينة المركزية، وقد أعلن معاوية أمام المسلمين أن المال مال الله، وليس مال المسلمين فهو أحق به، فثار عليه السلام ليحمي اقتصاد الأمة، ويعيد توازن حياتها المعاشية.

الثامنة: المظالم الاجتماعية:

انتشرت المظالم الاجتماعية في أنحاء البلاد الإسلامية، فلم يَعُد قُطْرٌ من الأقطار إلا وهو يَعُجُّ بالظلم والاضطهاد من جَورِهِم، فهب الإمام عليه السلام في ميادين الجهاد ليفتح للمسلمين أبواب العزة والكرامة، ويحطم عنهم ذلك الكابوس المظلم.

التاسعة: المظالم الهائلة على الشيعة:

لقد كانت الإجراءات القاسية التي اتخذها الحكم الأموي ضد الشيعة من أسباب ثورته عليه السلام، فَهَبَّ لإنقاذهم من واقعهم المَرِير، وحمايتهم من الجَورِ والظلم.

العاشرة: محو ذكر أهل البيت عليهم السلام:

ومن جملة الأسباب التي ثار من أجلها عليه السلام هو أن الحكم الأموي قد جهد على محو ذكر أهل البيت عليهم السلام،

واستئصال مَآثِرِهم ومناقبهم، وقد استخدم معاوية في هذا السبيل أخبث الوسائل، وكان عليه السلام يود أن الموت قد وافاه، ولا يسمعُ سَبَّ أبيهِ عليه السلام على المنابر والمآذن.

الحادية عشر: تدمير القِيَم الإسلامية:

وعَمِدَ الأمويون إلى تدمير القِيَم الإسلامية، فلم يَعد لها أي ظِلٍّ على واقع الحياة الإسلامية.

الثانية عشر: إنهيار المجتمع:

فقد انهار المجتمع في عصر الأمويين، وتحلل من جميع القيم الإسلامية، فثار عليه السلام ليقضي على التَذَبْذُبِ والانحراف الذي مُنِيتْ بِهِ الأمَّة.

الثالثة عشر: الدفاع عن حقوقه عليه السلام:

وانبرى الإمام عليه السلام للجهاد دفاعاً عن حقوقه التي نهبها الأمويون واغتصبوها، وأهمُّها: الخلافة، لأنه عليه السلام هو الخليفة الشرعي بمقتضى معاهدة الصلح التي تم الاتفاق عليها، وعلى هذا فلم تكن بيعة يزيد شرعية، فلم يخرج الإمام عليه السلام على إمام من أئمة المسلمين، كما يذهب لذلك بعض ذوي النزعات الأموية، وإنما خرج

على ظالم مُغتَصِبٍ لحَقِّهِ.

الرابعة عشر: الأمر بالمعروف:

ومن أوْكَد الأسباب التي ثار من أجلها عليه السلام إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنهما من مُقَوِّمَات هذا الدين، والإمام عليه السلام بالدرجة الأولى مَسؤُول عَنهُمَا، وقد أدلى عليه السلام بذلك في وصيته لأخيه ابن الحنفية، التي أعلن فيها عن أسباب خروجه على يزيد، فقال عليه السلام: (وإنِّي لم أخرج أشِراً ولا بَطِراً، ولا مُفسِداً ولا ظَالِماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جَدِّي صلى الله عليه وآله وسلم، أُرِيدُ أنْ آمُرَ بالمعروفِ وأنْهَى عنِ المنكر، وأسيرُ بِسيرَةِ جَدِّي، وأبي علي بن أبي طَالِب)[1].

الخامسة عشر: إِمَاتَة البِدَع:

وعمد الحكم الأموي إلى نشر البِدَع بين المسلمين، وَالتي لم يُقصَدُ منها إلا مَحْقُ الإسلام، وإلحاق الهزيمة به، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك في رسالته التي بعثها لأهل البصرة: (فَإِنَّ السُّنَّةَ قَد أُمِيتَتْ وَالبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ)[2]،

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٣.

فقد ثار عليه السلام ليقضي على البِدَع الجاهلية التي تَبَنَّاهَا الأَمَوِيُّون، ويحيي سُنَّةَ جَدِّه صلى الله عليه وآله وسلم التي أماتوها، ولِيَنشرَ رايةَ الإسلام.

السادسة عشر: العهد النبوي:

واستَشَفَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وراء الغيب ما يُمنَى بِهِ الإسلام من الأخطار الهائلة على أيدي الأمويين، وأنه لا يمكن بأي حال تجديد رسالته وتخليد مبادئه إلا بتضحية ولده الحسين عليه السلام، فعهد إليه بالتضحية والفداء، وقد أدلى الحسين عليه السلام بذلك حينما عذله المشفقون عليه من الخروج إلى العراق فقال عليه السلام لهم: (أَمَرَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بِأَمرٍ وَأَنَا مَاضٍ فيه)[1].

السابعة عشر: العزة والكرامة:

ومن أوثق الأسباب التي ثار من أجلها عليه السلام هي العزة والكرامة، فقد أراد الأمويون إرغامَهُ على الذُل والخنوع، فَأَبَى عليه السلام إلاَّ أن يعيش عَزيزاً، وقد أعلن ذلك يوم الطفِّ بقوله عليه السلام: (أَلا وَإِنَّ الدعِيَّ ابنَ الدعِيَّ

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٣.

قَـد رَكـزَ بَـينَ اثْنَتَـيْنِ، بَـينَ السـلَّةِ وَالذلَّـة، وهَيْهَـات مِنَّـا الذلَّـة، يَأبَـى اللهُ لَنَـا ذَلـكَ وَرَسُـولُهُ، وَنُفُـوسٌ أَبِيَّـةٌ وَأُنُـوفٌ حَمِيَّـةٌ مِـن أَنْ نُؤثِـرَ طَاعَـة اللِّئَـام عَـلى مَصَـارِعِ الكِـرَام)[1].

الثامنة عشر: غدر الأمويين وفتكهم:

وأيقـن عليه السلام أن الأمويـين لا يتركونـه، ولا تَكـفُّ أيديهـم عـن الغـدر والفَتْـكِ بـه حتـى لـو سَـالَمَهُم وبايعهـم، وقـد أعلـن عليه السلام ذلـك لأخيـه محمـد بـن الحنفيـة: (وأيـم الله لـو كنـت في حِجـرِ هَامَـة مِـن هَـذِهِ الهـوَام لاسـتَخْرَجُونِي حتَّـى يَقتُلُـونِي)[2].

فاختـار عليه السلام أن يُعلـنَ الحـربَ ويمـوت مِيتَـةً كريمـةً تَهـزُّ عروشـهم، وَتقـضِي عـلى جبروتِهـم وَطُغيَانِهـم.

هـذه بعض الأسـباب التـي حفَّـزت الإمام الحسـين عليه السلام إلى الثورة على حكم يزيد[3].

(١) مثير الأحزان: ص٤٠.

(٢) مقتل الحسين: ص٦٧، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٨٩.

(٣) حياة الإمام الحسين لباقر شريف القرشي: ج٢، ص٢٨٤- ٢٩١.

خروجه عليه السلام من المدينة إلى مكة:

في ٢٧ رجب سنة ٦٠هـ، خرج ركب الإمام الحسين عليه السلام نحو مكّة المكرّمة، وسار معه عليه السلام نفر من أهل بيته وأصحابه، وبرفقته نساؤه وأبناؤه، وأُخته السيّدة زينب الكبرى عليها السلام، يخترقون قلب الصحراء ويجتازون كثبان الرمال.

دوافع الخروج:

إن من عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشر في أئمتهم أنهم مسددون من السماء ومعصومون في القول والفعل فلا يصدر منهم شيء خطأ ولا يكون صدوره إلا بأمر من الله تعالى ورضا به، لذا فنحن نعتقد أن الإمام عليه السلام في سَيره ـ وكذلك كل إمام معصوم ـ كان ينفذ تعاليم السماء له بحسب ما يناسب المرحلة التي يعيشها وقد تكرر من الإمام الحسين عليه السلام قوله عندما سئل عن سبب الخروج: (شاء الله أن يراني قتيلا وأن يراهن سبايا)[1] ولكن مع ذلك سنة الله في خلقه أن الأمور

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٦٥ .

تسير وفق ما أجراه من سنن الحياة، فنحن يمكن لنا أن نرصد ونحلل هذه الأسباب والدوافع التي حتمت على الإمام الحسين عليه السلام الخروج على يزيد والسير إلى العراق، وهذا التحليل لا يتعارض مع إرادة الله أو قضائه بل يشرحه ويوضحه، لذا فيمكن أن نبين جملة من الأسباب لخروجه عليه السلام:

١ـ استبداد واستئثار الأُمويين بالسلطة.

٢ـ القتل والإرهاب وسفك الدماء الذي كانت تمارسه السلطة الأُموية.

٣ـ العبث بأموال الأُمّة الإسلامية، ممّا أدّى إلى نشوء طبقة مترفة على حساب طبقة محرومة.

٤ـ الانحراف السلوكي وانتشار مظاهر الفساد الاجتماعي.

٥ـ غياب قوانين الإسلام في كثير من المواقع المهمّة، وتحكّم المزاج والمصلحة الشخصية.

٦ـ ظهور طبقة من وضّاع الأحاديث والمحرِّفين لسُنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لتبرير مواقف السلطة.

هدف الخروج:

أشار الإمام الحسين عليه السلام في إحدى رسائله إلى الهدف من خروجه بقوله: (وإنّي لم أخرج أشِراً ولا بَطِراً، ولا مُفسِداً ولا ظَالِماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جَدِّي صلى الله عليه وآله وسلم، أُريدُ أنْ آمُرَ بالمعروفِ وأنْهَى عنِ المنكر، وأسيرُ بِسيرَةِ جَدِّي، وأبي علي بن أبي طَالِب)[1].

زيارة قبر جدّه صلى الله عليه وآله وسلم:

زار الإمام الحسين عليه السلام ـ قبل خروجه من المدينة المنوّرة ـ قبر جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيارة المُودِّع الذي لا يعود، فقد كان يعلم عليه السلام أن لا لقاء له مع مدينة جدِّه صلى الله عليه وآله وسلم، ولن يزور قبره بعد اليوم، وأنّ اللقاء سيكون في مستقرِّ رحمة الله، وأنّه لن يلقى جدّه إلّا وهو يحمل وسام الشهادة وشكوى الفاجعة.

فوقف الإمام عليه السلام إلى جوار القبر الشريف، وصلّى ركعتين، ثمّ وقف بين يدي جدِّه صلى الله عليه وآله وسلم يُناجي ربّه قائلاً: (اللّهمّ هَذا قَبْرُ نَبيِّك مُحَمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وأنَا ابنُ بنتِ

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

نَبيِّك، وقد حَضَرني مِن الأمرِ مَا قد عَلمت، اللّهمّ إنِّي أحِبُّ المَعروف، وأنكرُ المُنكَر، وأنَا أسألُكَ يَا ذا الجَلال والإكرام، بِحقِّ القبرِ ومن فيه، إلّا مَا اخترْتَ لي مَا هُو لَكَ رِضىً، ولِرسولِك رِضَى)[1].

لقاؤه مع السيّدة أُمّ سلمة رضي الله عنها:

قبل خروجه من المدينة التقى بالسيّدة أُمّ سلمة رضي الله عنها ليودّعها، فقالت: يا بني لا تحزن بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدّك صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يقتل ولدي الحسين بأرض العراق؛ بأرض يقال لها كربلا)، فقال لها: (يا أمّاه وأنا والله أعلم ذلك، وأنّي مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدّ، وأنّي والله لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أُدفن فيها، وأعرف من يُقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وأن أردت يا أُمّاه أُريك حفرتي ومضجعي).

ثمّ قال لها: (يا أُمّاه، قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي

(١) الفتوح: ج٥، ص١٩، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٨.

ورهطي ونسائي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مأسورين مظلومين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً)[1].

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣١، لواعج الأشجان: ص٣١.

خروجه عليه السلام من مكة إلى العراق:

تاريخ الخروج:

٨ ذو الحجّة (يوم التروية) ٦٠هـ.

الخروج قبل إتمام الحجّ:

أرسل يزيد بن معاوية (لعنهما الله) عمرو بن سعيد بن العاص من المدينة إلى مكّة في عسكر عظيم، وولاّه أمر الموسم، وأمّره على الحاجّ كلّهم، وأوصاه بإلقاء القبض على الحسين عليه السلام سرّاً، وإن لم يتمكّن منه يقتله غيلة، فلمّا علم الحسين عليه السلام بذلك، حلّ من إحرام الحجّ، وجعلها عمرة مفردة، وعزم على التوجّه إلى العراق؛ مخافة أن يقبض عليه، أو يُقتل غيلة.

خطبة الإمام الحسين عليه السلام ليلة الخروج:

قال عليه السلام: (الحَمدُ لله، ومَا شاءَ الله، ولا قُوّة إلّا بالله، وصلّى الله على رسوله، خُطّ المَوتُ على وِلدِ آدم مخطّ القِلادَة على جِيدِ الفَتاة، وما أولهَني إلى أسلافي اشتياقَ يَعقُوبَ إلى يوسف، وخيّر لي مَصرعٌ أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعُها عسلان الفلوات بين النّواوِيسِ

وكَربلاء، فيملأنّ منّي أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً، لا مَحيصَ عن يومٍ خُطّ بالقلم، رِضا الله رِضَانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرُّ بهم عَينه، وينجزُ بهمْ وَعدَه، من كان باذلاً فِينَا مهجتَه، وموطِّناً على لِقَاء الله نفسه، فلْيَرْحَل مَعَنا، فإنِّي راحلٌ مُصبِحاً إن شاء الله)[1].

نصحه بعدم الخروج:

انتشر خبر نية الإمام عليه السلام بالخروج قبل أداء الحج جاءت إليه مختلف الشخصيات المعروفة في مكة لمعرفة سبب ذلك وتنصحه بعدم الخروج إلى العراق، ولكنّ الإمام عليه السلام رفض ذلك، فمن الذين جاؤوا: أبو بكر عمر بن عبد الرحمن المخزومي، فقال له الحسين عليه السلام: (جزاك الله خيراً يابن عمِّ، قد اجتهدت رأيك، ومهما يقض الله يكن)[2].

وجاءه عبد الله بن عباس، فقال له الحسين عليه السلام:

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٦.

(٢) مثير الأحزان: ص٢٧، مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص٥٦.

(استخير الله، وأنظر ما يكون)[1].

وجاءه أخوه محمّد بن الحنفية قائلاً له: يا أخي، إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفتُ أن يكون حالُك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم، فإنّك أعزّ مَن بالحرم وأمنعه، فقال عليه السلام: (يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت)[2].

وجاءه عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وغيرهما، والحسين عليه السلام يقول لهم: (وأيم الله لو كنت في جحر هامّة من هذه الهوام لاستخرجوني حتّى يقتلوني، والله ليعتدن عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت، والله لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ من فَرام المرأة)[3].

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٨٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.

(٣) أعيان الشيعة: ج١، ص٥٩٣، مقتل الحسين: ص٦٧، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٨٩.

كيفية الخروج:

روى عبد الله بن سنان الكوفي عن أبيه، عن جدّه، أنّه قال: خرجت بكتابٍ من أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام، وهو يومئذٍ بالمدينة، فأتيته فقرأه فعرف معناه فقال: (اُنظرني إلى ثلاثة أيّام)، فبقيت في المدينة ثمّ تبعته إلى أن صار عزمه بالتوجّه إلى العراق، فقلت في نفسي أمضي وأنظر إلى مَلِك الحجاز كيف يركب، وكيف جلالة شأنه؟ فأتيت إلى باب داره فرأيت الخيل مسرّجة والرجال واقفين، والحسين عليه السلام جالس على كرسي وبنو هاشم حافّون به، وهو بينهم كأنّه البدر ليلة تمامه وكماله، ورأيت نحواً من أربعين محملاً، وقد زُيّنت المحامل بملابس الحرير والديباج.

قال: فعند ذلك أمر الحسين عليه السلام بني هاشم بأن يُركبوا محارمهم على المحامل، فبينما أنا أنظر وإذا بشاب قد خرج من دار الحسين عليه السلام وهو طويل القامة وعلى خدّه علامة ووجهه كالقمر الطالع، وهو يقول: (تنحّوا يا بني هاشم)! وإذا بامرأتين قد خرجتا من الدار، وهما

تجرّان أذيالهما على الأرض حياءً من الناس، وقد حفّت بهما إماؤهما، فتقدّم ذلك الشاب إلى محملٍ من المحامل وجثى على ركبتيه، وأخذ بعضديهما وأركبهما المحمل، فسألتُ بعض الناس عنهما فقيل: أمّا إحداهما فزينب، والأُخرى أُم كلثوم بنتا أمير المؤمنين، فقلت: ومن هذا الشاب؟ فقيل لي: هو قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين.

ثمّ رأيت بنتين صغيرتين كأنّ الله تعالى لم يخلق مثلهما، فجعل واحدة مع زينب، والأُخرى مع أُم كلثوم، فسئلت عنهما، فقيل لي: هما سكينة وفاطمة بنتا الحسين عليه السلام.

ثمّ خرج غلام آخر كأنّه البدر الطالع ومعه امرأة، وقد حفّت بها إماؤها، فأركبها ذلك الغلام المحمل، فسألت عنها وعن الغلام، فقيل لي: أمّا الغلام فهو علي الأكبر بن الحسين عليه السلام، والمرأة أُمّه ليلى زوجة الحسين عليه السلام.

ثمّ خرج غلام ووجهه كفلقة القمر، ومعه امرأة، فسألت عنها؟ فقيل لي: أمّا الغلام فهو القاسم بن

الحسن المجتبى، والمرأة أُمّه.

ثمّ خرج شاب آخر وهو يقول: (تنحّوا عنّي يا بني هاشم! تنحّوا عن حرم أبي عبد الله)، فتنحّى عنه بنو هاشم، وإذا قد خرجت امرأة من الدار وعليها آثار الملوك، وهي تمشي على سكينة ووقار، وقد حفّت بها إماؤها، فسألت عنها؟ فقيل لي: أمّا الشاب فهو زين العابدين ابن الإمام، وأمّا المرأة فهي أُمّه شاه زنان بنت الملك كسرى زوجة الإمام، فأتى بها وأركبها على المحمل، ثمّ أركبوا بقيّة الحرم والأطفال على المحامل.

فلمّا تكاملوا نادى الإمام عليه السلام: (أين أخي، أين كبش كتيبتي، أين قمر بني هاشم)؟ فأجابه العباس: (لبيك لبيك يا سيّدي)! فقال له الإمام عليه السلام: (قدّم لي يا أخي جوادي)، فأتى العباس بالجواد إليه وقد حفّت به بنو هاشم، فأخذ العباس بركاب الفرس حتّى ركب الإمام، ثمّ ركب بنو هاشم، وركب العباس وحمل الراية أمام الإمام[1].

(١) معالي السبطين: ج١، ص٢٢٠، أسرار الشهادة: ص٣٦٧.

سبب توجهه عليه السلام إلى العراق:

رغم أنَّ الدافع الظاهري لتوجه الإمام عليه السلام إلى العراق كانت رسائل أهل الكوفة ورُسلهم، حتى أنَّ الإمام عليه السلام احتجَّ بها عندما واجه الحُرُّ بن يزيد الرياحي وعمر بن سعد، عندما سألاه عن سِرِّ مجيئه إلى العراق فقال عليه السلام: (كَتَبَ إليَّ أهلُ مِصرِكُم هَذا أنْ أقْدِمَ)، إلاَّ أنَّ السرَّ الحقيقي لهجرته عليه السلام رغم إدراكه الواضح لما سيترتب عليها من نتائج خطيرة ستودي بحياته الشريفة، وهو ما وطَّن نفسه عليه السلام عليه، ويمكن إدراكه من خلال الاستقراء الشامل لمسيرة حياته عليه السلام، وكيفيَّة تعامله مع مُجَريات الأحداث.

إذ أنَّ الأمر الذي لا مَناصَ من الذهاب إليه هو إدراك الإمام عليه السلام ما يشكِّله الإذعان والتسليم لتولِّي يزيد بن معاوية خلافة المسلمين، مع ما عُرِف عنه من تَهتُّك، ومجون، وانحراف واضح عن أبسط المعايير الإسلامية.

وفي هذا مؤشِّر خطير إلى عِظم الانحراف الذي أصاب مفهوم الخلافة الإسلاميَّة، وابتعادها الرهيب

عن مضمونها الشرعي.

ومن هنا فكان لابُدَّ من وقفة شجاعة تعيد للأمَّة جانباً من وعيها المُضاع، وإرادتها المسلوبة، حيث أن الإمام الحسين عليه السلام قد أعلنها صَراحة لَمَّا طالبه مروان بن الحكم بالبيعة ليزيد، فقال عليه السلام: (فَعَلى الإسلامُ السَّلام إذا بُلِيَت الأمَّة بِراعٍ مِثل يَزيد)[1].

نعم، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (صِنْفانِ مِن أمَّتي إذا صَلُحا صَلُحَتْ أمَّتي، وإذا فَسدا فَسَدَتْ أمَّتي).

قيل: يا رسول الله ومن هما ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (الفُقهَاء والأُمَراء)[2].

فإذا كان صَلاحُ الأمَّة وفسادها رَهْن صَلاح الخلافة وفسادها، فقيادَة مثل يزيد لا تزيد الأمر إلا عَبَثاً وفساداً، فإنَّ القيادة الإسلامية تتحقَّق بالتنصيص أو بالشورى، ويزيد لَمْ يملك السلطة لا بتنصيصٍ من الله سبحانه، ولا بشورىً من الأمَّة، وهذا ما أدركه المسلمون آنذاك، حيث كتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام رسالة جاء فيها:

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦، ص١٨٣.

أمَّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوَّك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمَّة، فابتزَّها أمرَها، وغصبها فَيْئَها، وتأمَّر عليها بغير رضىً منها، ثم قتل خِيارَها، واستبقى شِرارَها.

ولم يكن الولد ـ يزيد ـ فريداً في غَصب حق الأمَّة، بل سبقه والده مُعاوِية إلى ما هو معروف وليس بخافٍ على أحد[1].

وإلى تلك الحقيقة المَمْجوجة يشير الإمام علي عليه السلام في كتاب له إلى معاوية، حيث يقول: (فَقَدْ آنَ لَكَ أن تَنتَفع باللَّمح البَاصِر من عيان الأمور، فَقَد سَلكْتَ مَدارج أسلافِك بادِّعائك الأباطيل، واقتِحَامك غرور المَيْن والأكاذيب، وبانتحالك ما قَدْ عَلا عَنْك، وابتزازِكَ لما قد اختزن دونك، فراراً من الحقّ وجُحوداً، لِمَا هو ألزم لك من لَحمِك ودمك، مِمَّا قد وعاه سمعك، وملئ به صدرك، فماذا بعدَ الحقِّ إلا الضَّلال المُبين)[2].

هذا ونظائره المذكورة في التاريخ دفع الحسين إلى

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٦١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨، ص٢٢.

الثـورة، وتقديـم نفسـه وأهـل بيتـه قرابـين طاهـرة، مـن أجـل نُـصرة هـذا الديـن العظيـم.

مـع عِلمـه بأنَّـه ـ وِفقـاً لِمـا لديـه مـن الإمكانـات الماديـة ـ لـنْ يسـتطيعَ أن يواجـه بنـي أميـة بـما يمتلكونـه مـن قدرات ماديـة ضخمـة تُمكِّنهـا مـن القضـاء عـلى أي ثـورة فتيَّة.

نعـم، فـإن الإمـام الحسـين عليه السلام كان يـدرك قَطعـاً هـذه الحقيقـة، إلاَّ أنـه أراد أن يسـقي بدمائـه الطاهـرة المقدَّسـة شـجرة الإسـلام الوارفـة، التـي يريـد الأمويُّـون اقتلاعهـا مـن جذورهـا، كـما أن الإمـام عليه السلام أراد أن يكـسر حاجـز الخـوف الـذي أصـاب الأمَّـة، فجعلَهـا حائـرة متـردِّدة، أمام طُغيـان الجبابـرة وحُـكَّام الجـور، وأن تصبـح ثورتُـه عليه السلام مدرسـة تتعلَّـم منهـا الأجيـال معنـى البطولـة والتضحيـة مـن أجـل المبـادئ والعقائـد، وكان كل ذلـك بعـد استشـهاد الإمـام عليه السلام، والتاريـخ خـير شـاهد عـلى ذلـك.

وكان المعـروف منـذ ولادة الإمـام الحسـين عليه السلام أنـه سيستشـهدُ في العـراق، في أرض كربـلاء، وعَـرَف المسـلمون ذلـك في عـصر النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ووصيِّـه الإمـام عـلي عليه السلام،

ولذا فقد كان النَّاس يترقَّبون حدوث تلك الفاجعة.

كما أنَّ هناك الكثير من القرائن التي تدلُّ بوضوح على حتميَّة استشهاده عليه السلام، ونذكر من تلك القرائن ما يلي:

الأولى: روى غير واحد من المحدِّثين عن أنس بن الحارث، الذي استشهد في كربلاء، أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إنَّ ابني هذا يُقتَلُ بأرضٍ يقال لها (كربلاء)، فمن شَهِد ذلك مِنكُم فَلْيَنْصُره)[1]، فخرج أَنَسَ بن الحارث، فَقُتِل بها مع الحسين عليه السلام[2].

الثانية: إنَّ أهل الخبرة والسياسة في عصر الإمام كانوا متَّفقين على أن الخروج إلى العراق يشكِّل خطراً كبيراً على حياة الإمام عليه السلام وأهل بيته، ولأجل ذلك أخلَصوا له النصيحة، وأصرُّوا عليه بعدم الخروج، ويتمثَّل ذلك في كلام أخيه محمَّد بن الحنفية، وابن عَمِّه ابن عباس، ونساء بني عبد المطلب، ومع ذلك اعتذر لهم الإمام عليه السلام، وأفصح عن عَزمه على الخروج.

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٤٧.

(٢) تاريخ دمشق: ج١٤، ص٢٢٣.

الثالثة: لما بلغ عبد الله بن عمر ما عزم عليه الحسين عليه السلام دخل عليه ولامَهُ في المسير، ولَمّا رآه مُصرّاً عليه قبَّل ما بين عينيه وبكى، وقال: أستودِعُكَ الله مِن قَتيل[1].

الرابعة: لَمّا خرج الإمام الحسين عليه السلام من مَكَّة لِقِيَه الفرزدق الشاعر، فقال له: إلى أين يا ابن رسول الله؟، ما أعجَلَك عن الموسم؟

فقال الإمام عليه السلام: (لَو لَمْ أعجلْ لأخذت).

ثم قال عليه السلام له: (أخبِرْني عنِ النَّاس خَلفَك).

فقال: الخبير سألت، قلوبُ النَّاس معك، وأسيافُهُم عَليك[2].

الخامسة: لَمّا أتى إلى الحسين خَبَر قتل مُسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد الله بن يقطر، قال عليه السلام لأصحابه: (قَدْ خَذَلَنَا شِيعتُنَا، فمَنْ أحبَّ منكم الانصراف فَلْينصَرِف، ليس معه ذمام).

فتفرَّق الناس عنه، وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي

(١) تاريخ دمشق: ج١٤، ص٢٠١.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٩٠.

في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، ونفرٌ يسير مِمَّن انضمُّوا إليه، ومع ذلكَ فقد واصل عليه السلام مَسيرُه نحو الكوفة.

ولَّما مَرَّ عليه السلام بِبَطْن العقبة لِقيَهُ شيخ من بني عكرمة، يُقال له: عُمَر بن لوذان.

فسأل الإمامَ عليه السلام: أين تريد؟

فقال له الإمام عليه السلام: (الكُوفَة).

فقال الشيخ: أنشدُكَ الله لَّما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا عَلَى الأسِنَّة وحَدِّ السيوف.

فقال له الإمام عليه السلام: (لَيس يخفَى عليَّ الرأي، وإنَّ اللهَ تعالى لا يُغلَبُ عَلى أمرِه)[1].

وفي نفس النص دلالة على أن الإمام عليه السلام كان يدرك ما كان يتخوَّفُه غيره، وأنَّ مصيره لو سار إلى الكوفة هو القتل، ومع ذلك أكمل عليه السلام السير، طلباً للشهادة، من أجلِ نُصرة الدين، وردَّ كَيد أعدائه، وحتى لا تَبقى لأحدٍ حُجَّة يتذرَّع بها لِتبريرِ تَخَاذُله وضعفه.

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٧٦، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٠٠.

وقد كان لشهادة الإمام الحسين عليه السلام أثر كَبير في إيقاظ شعور الأمَّة، وتشجيعها على الثورة ضِدَّ الحكومة الأمويَّة، التي أصبحَتْ رمزاً للفساد والانحراف عن الدين.

ولأجل ذلك توالت الثورات بعد شهادته عليه السلام من قِبَل المسلمين في العراق والحجاز، وهذه الانتفاضات وإن لم تحقِّق هَدفها في وقتها، ولكنْ كان لها الدور الأساسي في سُقوط الحكومة الأمويَّة بعد مدَّة من الزمن.

ولقد أجاد من قال: لولا نهضة الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم يوم الطفِّ لَما قامَ للإسلام عَمود، ولا اخضرَّ له عود، ولأماته مُعاوية وأتباعه، ولَدفَنوه في أول عهده في لحده، فالمسلمون جميعاً بل الإسلام من ساعة ثورته عليه السلام إلى قيام الساعة، رَهين شُكرٍ للإمام عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم[1].

بلى، فلا مُغالاة في قول من قال: إنَّ الإسلامَ مُحَمَّديُّ الوجود، حُسينيُّ البقاءِ والخلودِ.

(١) جنة المأوى للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: ص٢٠٨.

مشروعية البكاء عليه عليه السلام:

إن مكانة الإمام الحسين عليه السلام لا ينكرها إلا معاند، فشأنه عليه السلام عند الله تعالى كبير وقد تجلى ذلك في عدة أمور:

١- من الروايات التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضله وإمامته وحبه له.

٢- من سيرته الشخصية وكراماته في حياته، وقد تقدم شطر منها.

٣- ما ورد من الروايات التي أناطت به عليه السلام دوراً كبيراً ينتظره الدين لتصحيته وحفظه من تلاعب بني أمية.

٤- من الكرامات التي حصلت له بعد استشهاده عليه السلام من قبل الرأس الشريف وما حصل للكون بعد استشهاده وقد عبرت عن الغضب الإلهي، وقد انتقم الله لدم يحيى أن سلط على أولئك القوم «نبوخذ نصر» فقتل منهم سبعين ألفا، وأوحى الله تعالى إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (إنني قتلت في مقابل قتل يحيى سبعين ألفا، وسأقتل لقاء قتل ابن بنتك

ضعف هذا العدد)[1].

وقد أجاب الإمام زين العابدين عليه السلام من أشكل عليه باستمرار حزنه على أبيه بما دل من القران على استمرار حزن يعقوب، كما أورده أبو نعيم الأصفهاني عن كثرة بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام فقال عليه السلام: (لا تلوموني، فإنَّ يعقوب فَقَدَ سِبطاً مِن ولده، فبكى حَتَّى ابيضَّتْ عيناه، ولم يَعلَم أنه مات، وقد نظرتُ إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي في غزاة واحدة، أَفَتَرَون حزنهم يذهب مِن قَلبي؟)[2].

البكاء على الميت مُستحب عند العامَّة:

هذا وقد ورد في مصادر العامة ما يدلُّ على أنَّ البكاء على الميت سُنَّة سَنَّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روى إسحاق بن راهويه، عن عائشة أنها قالت: مَرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انصرف على بني الأشهل، فإذا نساؤهم يَبْكِين على قتلاهم، وكان استمرَّ القتل فيهم يومئذ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لكِنَّ حَمزة لا بواكي له)، فأمر سعد

(١) المجالس الفاخرة: هامش ص١١٣.

(٢) حلية الأولياء: ج٣، ص١٦٢.

بن معاذ نساء بني ساعدة أن يبكين عند باب المسجد على حمزة، فَجَعلت عائشة تَبكي مَعَهُنَّ.

فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاستيقظ عند المغرب، فَصلَّى المغرب، ثم نام، ونحن نبكي، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعشاء الآخرة، فصلى العشاء، ثم نام، ونحن نبكي، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نبكي، فقال: (ألا أراهُنَّ يبكيْنَ حتى الآن، مُرُوهُنَّ فَلْيَرجِعْنَ)، ثم دعا صلى الله عليه وآله وسلم لَهُنَّ، ولأزواجِهِنَّ، ولأولادِهِنَّ[1].

ولعلك تلاحظ في هذه الرواية، أنها لا تدل على جواز البكاء على الميت وندبه فحسب، بل إنها تدل على مشروعية تحويل البكاء إلى عادة مستمرة، ولقرون طويلة.

(١) مسند ابن راهويه: ج٢، ص٥٩٩.

البكاء على الإمام الحسين عليه السلام سُنَّة سَنَّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم أوَّل من أخبر بواقعة شهادة الإمام الحسين عليه السلام، روى ابن حبان، عن أنس بن مالك قال: استأذَنَ مَلَك القطر رَبَّه أن يزور النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأذن له، فكان في يوم أم سلمة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إحفظي علينا الباب، لا يَدخل علينا أحد)، فبينا هي على الباب، إذ جاء الحسين بن علي عليهما السلام، فطفر، فاقتحم، ففتح الباب، فدخل، فجعل يتوَثَّب على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلثمه ويقبله، فقال له المَلَك: أتحبه؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم.

قال: أمَا إنَّ أمَّتك ستقتله، إن شئت أريتُكَ المكان الذي يُقتل فيه ؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم.

فقبض قبضة من المكان الذي يُقتل عليه السلام فيه، فأراه إياه، فجاءه بسهلة أو تراب أحمر، فأخذَتْهُ أمُّ سلمة،

فجعلَتْـهُ في ثوبهـا[1].

وأمـا بـكاء النبـي صلى الله عليه وآله وسلم عليـه، فقـد روى أحمـد، عـن نجي أنـه سـار مـع عـلي عليه السلام، وكان صاحـب مطهرتـه، فلـما حـاذى نينـوى وهـو منطلـق إلى صفـين فنـادى عـلي عليه السلام: (اِصـبرْ أبـا عبـدِ الله، اِصـبرْ أبـا عبـدِ الله بشـط الفـرات).

قلت: وماذا ؟

قـال عليه السلام: (دخلـتُ عـلى النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يـوم وعينـاه تفيضـان، قلـت يـا نبـي الله أغضبـك أحـد مـا شـأن عينيـك تفيضـان؟ قـال: بـل قـام مـن عنـدي جبريـل قبـل، فَحدَّثَني أن الحسـين يُقتَـل بشـط الفـرات، هـل لـك إلى أنْ أُشِـمَّك مـن تربتـه؟

قلت: نعم.

فمـدَّ صلى الله عليه وآله وسلم يـده، فقبـض قبضـة مـن تـراب، فأعطانيهـا، فلـم أملـك عينـي أن فَاضَتَـا)[2].

(١) صحيح أبن حبان: ج٦، ص٢٠٣.

(٢) مسند أحمد: ج٢، ص٧٨.

وروى الحاكم، عن أم الفضل بنت الحارث، أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، إني رأيت حلماً مُنكَراً الليلة.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: مَا هُوَ.

قالت: إنه شديد.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: ما هو.

قالت: رأيت كأَنَّ قطعة من جسدك قطعت، وَوُضِعت في حِجْري.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رَأيتِ خَيراً، تَلِد فاطمة إن شاء الله غُلاماً، فيكونُ في حِجرك.

فَوَلدت فاطمة عليها السلام الإمام الحُسين عليه السلام، فكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فدخلتُ يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوضعتُهُ في حِجره، ثم حانَتْ مِنِّي التِفَاتَة، فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهريقان من الدموع.

فقلت: يا نبي الله، بأبي وأمي، ما لَكَ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: أتاني جِبريل عليه الصلاة والسلام، فأخبرَني أنَّ أُمَّتي ستقتُل ابني هذا.

فقلت: هذا!!.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم.

وأتاني صلى الله عليه وآله وسلم بتربة من تربته عليه السلام حمراء[1].

ونقول: هذه روايات صريحة في أنَّ البكاء على الإمام الحسين هي سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليست بِدْعَة.

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٧٦.

فضل البكاء على الحسين عليه السلام:

والشيعة يتبعون في ذلك سُنَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البكاء على سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وقد رووا عن أئمتهم فضلاً كثيراً في ذلك: فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي عليهما السلام حتى ذرفت دموعها)[1].

وعنه عليه السلام: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: (أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهما السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا)[2].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر)[3].

وعنه عليه السلام أنه قال: (من أنشد في الحسين بيتا من الشعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنة، ومن أنشد

(١) كامل الزيارات: ص١٦٥.

(٢) كامل الزيارات: ص ٢٠١.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٠١.

في الحسين بيتا فبكى وأبكى تسعة فله ولهم الجنة، فلم يزل حتى قال: من أنشد في الحسين بيتا فبكى وأظنه قال: أو تباكى فله الجنة)[1].

وعنه عليه السلام: (من ذُكِر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله، ولم يرض له بدون الجنة)[2].

وعنه عليه السلام: (إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء على الحسين بن علي عليهما السلام فإنه فيه مأجور)[3].

وعنه عليه السلام: (ان الحسين عليه السلام بكى لقتله السماء والأرض واحمرتا، ولم تبكيا على أحد قط إلا على يحيى بن زكريا عليهما السلام والحسين بن علي عليهما السلام)[4].

وعنه عليه السلام: (من ذُكِرنا عنده ففاضت عيناه حرم الله وجهه على النار)[5].

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٩٦.
(٢) كامل الزيارات: ص٢٠٨.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٠٧.
(٤) كامل الزيارات: ص١٨١.
(٥) كامل الزيارات: ص٢٠٧.

وقال الإمام الرضا عليه السلام: (يا بن شبيب إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيرا كان أو كبيرا قليلا كان أو كثيرا)[1].

وعنه عليه السلام: (يا ابن شبيب إن كنت باكيا لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش)[2].

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٦٨.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٦٨.

شهادته عليه السلام:

تاريخ شهادته عليه السلام ومكانها

١٠ محرّم ٦١هـ، كربلاء المقدّسة.

سبب شهادته عليه السلام

قُتل عليه السلام شهيداً في معركة كربلاء وهو يدافع عن دين جدّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

ليلة العاشر:

قضى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم ليلة العاشر من المحرّم بالصلاة والدعاء، وقراءة القرآن، وكان لهم دويٌّ كدويّ النحل، كما كانوا يصلحون سيوفهم ورماحهم استعداداً للقاء القوم.

يوم العاشر:

طلب الإمام الحسين عليه السلام في صباح اليوم العاشر ـ إتماماً للحُجّة على أعدائه ـ من جيش يزيد، أن ينصتوا إليه لكي يكلّمهم، إلّا أنّهم أبوا ذلك، وعلا ضجيجهم، وفي النهاية سكتوا، فخطب فيهم معاتباً لهم على دعوتهم له، وتخاذلهم عنه، كما حدّثهم عليه السلام بما

سيقع لهم بعد قتله على أيدي الظالمين، من ولاة بني أُمية، ممّا عهد إليه من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو ما تحقّق فعلاً.

وخصّ في ذلك عمر بن سعد، الذي كان يزيد يمنّيه بجعله والياً على الرّي وجرجان، بأنّ حلمه ذاك لن يتحقّق، وأنّه سوف يُقتل، ويُرفع رأسه على الرمح.

خطبته عليه السلام يوم العاشر:

عاد الإمام الحسين عليه السلام مرّة أُخرى على ظهر فرسه، ووقف أمام الجيش الأُموي، وخاطبهم قائلاً: (أمّا بَعد، فانسبوني فانظُروا مَن أنَا؟ ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هَلْ يحلُّ لَكُم قتلي وانتهاكُ حُرمتي؟

ألسْتُ ابن بنتِ نبيِّكم صلى الله عليه وآله وسلم، وابن وصيِّه وابن عمِّه، وأوّل المؤمنين بالله، والمصدِّق لِرسولِه بما جاء من عند رَبِّه؟ أوَ ليس حمزة سَيِّد الشهداء عَمّ أبي؟ أو ليسَ جَعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عَمِّي؟ أوَ لَمْ يَبلُغْكُم قول مُستفيض فيكم: إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي ولأخي:

هَـذان سَـيِّدا شَـبَاب أهـل الجنّـة؟...)[1].

هجوم الأعداء:

استحوذ الشيطان على عمر بن سعد ـ قائد الجيش ـ فوضع سهمه في كبد قوسه، ثمّ رمى مخيّم الإمام الحسين عليه السلام وقال: (اِشهدُوا أنّي أوّل مَن رمى)، فتبِعَه جنده يُمطرون آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بوابل من السهام، فعظم الموقف على الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ خاطب أصحابه قائلاً: (قُومُوا رَحِمكم الله إلى الموتِ الذي لا بدّ منه، فإنّ هذه السهام رُسل القوم إليكم)[2]، فلبّوا رضي الله عنهم النداء، وانطلقوا كالأُسود يحاربون العدوّ، فاستمرت رحى الحرب تدور في ميدان كربلاء، وبدأ أصحاب الحسين عليه السلام يتساقطون الواحد تلو الآخر، وقد أرهقوا جيش العدوّ وأثخنوه بالجراح، فتصايَح رجال عمر بن سعد: لو استمرّت الحربُ بَيننا، لأتوا على آخرنا، لِنَهجم عليهم مَرّة واحدة، ولِنرشُقهُم بالنِبال والحجارة.

(١) مقتل الحسين: ص١١٧.

(٢) أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٣.

واستمرّ الهجوم والزحف نحو من بقي مع الإمام الحسين عليه السلام، وأحاطوا بهم من جهات متعدّدة، فتعالت أصوات ابن سعد ونداءاته إلى جيشه، وقد دخل المعسكر يقتل وينهب، ويقول: (اِحرقوا الخيام).

فضجّت النساء، وتصارخ الأطفال، وعلا الضجيج، وراحت ألسِنة النار تلتهم المخيّم، وسكّانه يفرُّون فزعين مرعوبين، فلم يهدأ سعير المعركة، وراح مَن بقي من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته يستشهدون الواحد تلو الآخر.

فاستُشهد ولده عليّ الأكبر وإخوته، وأبناء أخيه وابن أُخته، وآل عقيل وآل عليّ عليه السلام، مجزّرين كالأضاحي، وهم يتناثرون في أرض المعركة، وكذا بدأ شلّال الدم ينحدر على أرض كربلاء، وصيحات العطش والرعب تتعالى من حناجر النساء والأطفال.

فركب الإمام الحسين عليه السلام جواده، يتقدّمه أخوه العباس عليه السلام، وتوجّه نحو نهر الفرات؛ ليحمل الماء إلى العيال، فحالت حشود العدوّ دونه، فأصبح هو في

جانب وأخوه في جانب آخر، وكانت للبطل الشجاع أبي الفضل العباس عليه السلام صولة ومعركة حامية، طارت فيها رؤوس، وتساقطت فرسان، وهو يصول ويجول في ميدان الجهاد بعيداً عن أخيه، حتّى خرّ صريعاً سابحاً بدم الشهادة.

وتعلّق قلب الإمام الحسين عليه السلام بمخيّمه، وما خلّفت النار والسيوف بأهله وحرمه، فراح عليه السلام ينادي، وقد طوّقته قوّات الأعداء وحالت بينه وبينهم، فصاح بهم: (أنَا الّذي أقاتِلُكم وتقاتلوني، والنِساء لَيسَ عَليهنّ جُناح، فامْنَعوا عُتاتكم وجهّالكم وطغاتكم من التعرُّض لحَرَمي ما دُمتُ حَيّاً)[1].

إلّا أنّهم استمرّوا في هجومهم على المخيّم، ولم يعبئوا لكلامه عليه السلام، فاستمرّ الهجوم عنيفاً، والإمام عليه السلام منهمك في قتال أعدائه، إلى أن سدّد له أحد الأجلاف سهماً واستقرّ في نحره الشريف، ثمّ راحت السيوف والرماح تنزل عليه كالمطر الغزير، فلم يستطع عليه السلام

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٣.

مقاومة الألم والنزف، فوقع على الأرض، ولم يكفُّوا عنه، لأنّ روح الحقد والوحشية التي امتلأت بها جوانحهم لم تسمح بذلك، بل راح الملعون شمر بن ذي الجوشن، يحمل سيفه ليقطع غصناً من شجرة النبوّة، وليثكل الزهراء عليها السلام بعزيزها، ففصل الرأس الشريف عن الجسد، ليحمله هدية للطاغية يزيد، ذلك الرأس الذي طالما سجد لله، وحمل اللّسان الذي ما فتئ يردّد ذكر الله، وينادي عليه السلام: (لا أعطِيكُم بِيَدي إِعطَاء الذليل، ولا أقرُّ إِقرَار العبيد)[1]، الرأس الذي حمل العزّ والإباء، ورفض أن ينحني للعتاة أو يطأطئ جبهته للظالمين.

ثمّ حلّ السكون على أرض كربلاء الطاهرة، فأتت العقيلة زينب الكبرى عليها السلام إلى الميدان حتّى وقفت على جسد أخيها الحسين عليه السلام، ثمّ قالت: (اللّهمّ تقبّل منّا هذا القربان)[2].

(١) مقتل الحسين: ص١١٨.

(٢) حياة الإمام الحسين: ج٢، ص٣٠١.

جزاء قاتلي الإمام الحسين عليه السلام:

- حُكي عن السدّي قال: أضافني رجل في ليلة كنت أحبُّ الجليس، فرحّبت به وأكرمته، وجلسنا نتسامر، وإذا به ينطلق بالكلام كالسيل إذا قصد الحضيض، فطرقت له فانتهى في سمره إلى طفّ كربلاء، وكان قريب العهد من قتل الإمام الحسين عليه السلام، فتأوّهت وتزفّرت، فقال: ما لك؟ قال السدّي: ذكرتَ مصاباً يهون عنده كلّ مصاب.

قال الرجل: أما كنت حاضراً يوم الطفّ؟ قال السدّي: لا والحمد لله.

قال الرجل: أراك تحمد، على أيّ شيء؟! قال السدّي: على الخلاص من دم الحسين عليه السلام، لأنّ جدّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنّ مَن طُولِبَ بدم ولدي الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان)[1].

قال الرجل: هكذا قال جدّه صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال السدّي: نعم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ولدي الحسين يُقتل ظلماً وعدواناً،

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٢١.

أَلا ومَن قتله يدخل في تابوت من نار، ويُعذّب بعذاب نصفِ أهل النار، هو ومَن شايع وبايع أو رضي بذلك، كُلّما نضجت جلودهم بُدِّلوا بجلود غيرها؛ ليذوقوا العذاب، فالويل لهم من عذاب جهنّم).

قال الرجل: لا تصدّق هذا الكلام يا أخي؟ قال السدّي: كيف هذا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا كَذِبتُ وَلا كُذِّبتُ).

قال الرجل: ترى قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قاتل ولدي الحسين لا يطول عمره، وها أنا وحقّك قد تجاوزت التسعين مع أنّك ما تعرفني)، قال السدّي: لا والله.

قال الرجل: أنا الأخنس بن زيد، قال السدّي: وما صنعت يوم الطف؟

قال الأخنس: أنا الذي أُمّرت على الخيل الذين أمرهم عمر بن سعد بوطئ جسم الحسين بسنابك الخيل، وهشمت أضلاعه، وجررت نطعاً من تحت عليّ بن الحسين وهو عليل حتّى كبته على وجهه، وخرمت

أُذني صفية بنت الحسين، لقرطين كانا في أُذنيها.

قال السدّي: فبكى قلبي هجوعاً وعيناي دموعاً، وخرجت أُعالج على إهلاكه، وإذا بالسراج قد ضعفت، فقمت أزهرها.

فقال: اجلس، وهو يحكي متعجّباً من نفسه وسلامته، ومدّ إصبعه ليزهرها فاشتعلت به، ففركها في التراب فلم تنطفِ، فصاح بي: أدركني يا أخي، فكببت الشربة عليها وأنا غير محبٍّ لذلك، فلمّا شمّت النار رائحة الماء ازدادت قوّة، وصاح بي: ما هذه النار وما يطفئها؟!!

قلت: ألقِ نفسك في النهر، فرمى بنفسه، فكلّما ركس جسمه في الماء اشتعلت في جميع بدنه كالخشبة البالية في الريح البارح، هذا وأنا أنظره، فوالله الذي لا إله إلّا هو، لم تُطفأ حتّى صار فحماً، وسار على وجه الماء!![1].

- وروي عن عبد الله بن رباح القاضي أنّه قال:

(١) مدينة المعاجز: ج٤، ص٩٥.

لقيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الإمام الحسين عليه السلام، فسُئل عن بصره، فقال: كنت شهدت قتله عاشر عشرة، غير أنّي لم أطعن برمح ولم أضرب بسيف ولم أرمِ بسهم، فلمّا قُتل عليه السلام رجعت إلى منزلي وصلّيت العشاء الآخرة ونمتُ، فأتاني آتٍ في منامي فقال: أجب رسول الله!! فقلت: ما لي وله؟

فأخذ بتلابيبي وجرّني إليه، فإذا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جالس في صحراء، حاسر عن ذارعيه، آخذ بحربة، وملك قائم بين يديه، وفي يده سيف من نار يقتل أصحابي التسعة، فكلّما ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً!! فدنوت منه وجثوت بين يديه، وقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يردّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّ.

ومكث طويلاً، ثمّ رفع رأسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (يا عدوّ الله، انتهكت حرمتي، وقتلت عترتي، ولم ترعَ حقِّي، وفعلت وفعلت).

فقلت: يا رسول الله، ما ضربت بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (صدقتَ،

ولكنّك كثّرت السواد، أُدنُ مِنِّي)، فدنوت منه، فإذا بطشت مملوء دماً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لي: (هذا دم ولدي الحسين)، فكحّلني من ذلك الدم، فاحترقت عيناي، فانتبهت لا أبصر شيئاً[1].

- ورئي رجل بلا يدين ولا رجلين، وهو أعمى يقول: ربّي نجّني من النار، فقيل له: لم يبقَ عليك عقوبة، وأنت تسأل النجاة من النار؟!

قال: إنّي كنت فيمن قاتل الحسين عليه السلام في كربلاء، فلمّا رأيت عليه سراويل وتكّة حسنة، فأردت أن انتزع التكّة، فرفع يده اليمنى ووضعها على التكّة، فلم أقدر على رفعها، فقطعت يمينه عليه السلام.

ثمّ أردت أنتزاع التكّة فرفع شماله ووضعها على التكّة، فلم أقدر رفعها فقطعت شماله عليه السلام، ثمّ هممت بنزع السراويل، فسمعت زلزلة فخفت وتركته، فألقى الله عليّ النوم فنمت بين القتلى، فرأيت كأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أقبل، ومعه عليّ وفاطمة والحسن عليهم السلام، فأخذوا رأس

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٢١، مدينة المعاجز: ج٤، ص١٠١.

الحسين عليه السلام فقبّلته فاطمة عليها السلام وقالت: (يا بني قتلوك!! قتلهم الله).

وكأنّه عليه السلام يقول: (ذَبَحَنِي شمرٌ، وقطع يدي هذا النائم)، وأشار إليّ، فقالت لي فاطمة عليها السلام: (قَطَعَ الله يديكَ ورجليكَ، وأعمى بصرك، وأدخلك النار).

فانتبهت وأنا لا أبصر شيئاً، ثمّ سقطت يداي ورجلاي، فلم يبقَ من دعائها إلّا النار[1].

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣١١.

الفهرس

مقدمة: ٣
ولادة سبط النبي الإمام الحسين عليه السلام: ٩
رعاية النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: ١٠
حُبّ النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: ١١
صفاته عليه السلام الجسمية: ١٤
جماله عليه السلام: ١٥
هَيبته عليه السلام: ١٦
إمامته عليه السلام: ١٨
علمه عليه السلام: ٢٠
أولاً: كلامه عليه السلام في توحيد الله عز وجل: ٢٠
ثانياً: مسائل الإمام الحسين عليه السلام: ٢٥
عبادته عليه السلام: ٢٩
دعاؤه ومناجاته: ٣٢
جوده عليه السلام وسخاؤه: ٣٧
حلمه عليه السلام: ٤٤
تواضعه عليه السلام: ٤٦
شجاعته عليه السلام: ٤٧
فصاحته عليه السلام وبلاغته: ٥١
إباؤه عليه السلام عن الضيم: ٥٢
حِكَم الإمام الحسين عليه السلام ومواعظه: ٥٦
دعوة الإمام الحسين عليه السلام إلى مكارم الأخلاق: ٥٧
كرامات الإمام الحسين عليه السلام: ٦٠
كراماته عليه السلام بعد مقتله: ٦٦
أسباب ثورته عليه السلام: ٦٩
خروجه عليه السلام من المدينة إلى مكة: ٧٧
خروجه عليه السلام من مكة إلى العراق: ٨٢
سبب توجهه عليه السلام إلى العراق: ٨٨
مشروعية البكاء عليه عليه السلام: ٩٦
فضل البكاء على الحسين عليه السلام: ١٠٣
شهادته عليه السلام: ١٠٦
جزاء قاتلي الإمام الحسين عليه السلام: ١١٢